# إلى القارئ

## حول حركية الثقافة

بقلم : البشير بن سلامة

اجتمع المجلس الاعلى للثقافة يوم 28 جانفي 1983 برئاسة الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول ويلتئم هذا المجلس لاول مرة لينظر فى الـوضع الثقـافى بصورة عامة وفى التوصيات التى أعدتها وزارة الشؤون الثقافية بالتعاون مع مكتب الدراسات للشركة التونسية للاعلامية والتنظيم الذى أعطى « للمشروع الثقافى القومى » ما كان يفتقر اليه من لبوس وابعاد علمية واقتصادية وقانونية وأبرز جوانب ثلاثة أساسية :



- مقاربة اقتصادية ملموسة للثقافة ( اقتصادية الثقافة ) .
- التشخيصات والتوصيات العلاجية فى مختلف القطاعات .
- مقاربة جديدة لتمويل الثقافة ( قانون البـرمجة ـ صنـدوق العمـل الثقـافى ) .

وبهذه الصورة تيسر للمجلس الاعلى للثقافة أن يجتمـع حـول مسائـل مضبوطة ليست من قبيل الآراء والافكار فقط أو التوصيات الافلاطونية المغرقة فى الخيال وسعة الآفاق بل اجتمع هذا المجلس من أجل البت فى الاجـراءات العملية التى من شأنها عند تطبيقها أن تخلص الثقافة بل قطاعات الثقافة كلها مما عرفته من صعوبات وعقبات ومشاكل عديدة ومتنوعة لاصقـة بالميـدان نفسه أو ناشئة عن ميادين أخرى اقتصادية أو اجتماعية وحتى سياسية .

واذا كانت حكومة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه برئاسة الاستاذ محمد مزالى تصدت منذ عامين الى تنظيم ميادين الثقافة واصدرت القوانين فيما يخص الهياكل الاساسية الثقافية وأحدثت المعاهد العليا للتكوين ( ثلاثة معاهد : للتنشيط الثقافي والفن المسرحى والموسيقى ) وضاعفت من عدد الاطارات وكثفت الرسكلة والتربصات وزادت فى ميزانية التصرف والتنمية بنسبة ملحوظة فانه تبقى أعمال كثيرة يتوجب القيام بها وخاصة تمويل الانتاج الثقافى أى إعطاء المادة الثقافية لهذه الهياكل ليدور دولابها على الوجه المرضى ويعنى هذا أن تكون هناك ميزانية منسجمة متعادلة مع ما يخصص للتسيير والتجهيز حتى يقتنى العدد الكافى من الكتب لتجهيز المكتبات وتشترى الافلام الثقافية الضرورية ويمكن للفرق الموسيقية والمسرحية ورجالات الثقافة من أن ينشروا الثقافة فى كل مناطق الجمهورية ويشعوا بها خارج الحدود . وهذا ما تفطن اليه المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه فى 15 سبتمبر 1968 فى خطاب ألقاه بالكاف اذ قال : « إن التنمية الثقافية تقتضى اعتمادات مالية هامة يجب استخراجها بالرغم من أن الاقتصاديين يولون عادة الاسبقية لاختيارات أخرى » ويضيف : « ولم أنفك أردد أن التنمية الثقافية وإن لم يكن لها مردود ظاهر للعيان قابل للترقيم فان لها انعكاسا على جميع النشاطات الاقتصادية لان لها تأثيرا على الانسان » .

وهذا فى الواقع ما ينتظر من المجلس الاعلى للثقافة اذ هو سيبت فى اقتراح جاءت به الدراسة ويتمثل فى احداث صندوق للتنشيط الثقافى مع استنباط معقول لموارده وقابل للتنفيذ .

وانطلاقا من هذه المعطيات ألقى الاستاذ محمد مزالى كلمة حدد فيها ما يقتضيه العمل الثقافى من الدعم وحلل نقاطا عديدة مرتبطة بعمل المجلس الاعلى للثقافة فنوه فى أول كلمته بفضل المجاهد الاكبر الرئيس بورقيبه فى بروز هذا المجلس للوجود حتى يعمل من أجل وضع تصور جديد للثقافة يتماشى والتطور المتعدد الوجوه الذى يعيشه المجتمع التونسى المعاصر .

وحلل فى هذا السياق نظرة الحكومة للثقافة فبين ان الثقافة نشاط لا يقل أهمية عن الانشطة الاقتصادية واحد أركان الحياة القومية باعتبار العلاقة العضوية المتينة التى تربطها بالدورة الاقتصادية والاجتماعية .

وذكر فى هذا الخصوص بكل الاوامر والقوانين التى اتخذت على أصعدة مختلفة لتنشيط العمل الثقافى والخروج به من دائرة التهميش الى دائرة المساهمة الفعلية والايجابية فى العمل التنموى المندمج والمتكامل .

وركز الوزير الاول تدخله على أهم المقومات للنشاط الثقافى فأوضح ان الحكومة ايمانا منها بما للثقافة من مسؤولية فى تأطير المجتمع وفى رعاية الشباب عددت تدخلاتها سواء لفرض التجهيزات الثقافية والرياضية فى أمثلة التهيئة العمرانية للمدن والاحياء ولاقامة الهياكل التى من شأنها أن تأوي كل نشاط ثقافى ورياضى مهما كان نوعه .

وأكد الوزير الاول من جهة أخرى على ضرورة تكوين الاطارات والمنشطين الاكفاء الذين تكتمل بهم الشروط لجعل التجهيزات تؤدى رسالتها على الوجه الاكمل وألح فى نفس السياق على ضرورة تشجيع الهواية فى مجال التنشيط الثقافى وفتح المجال أمام كل من يأنس فى نفسه القدرة والكفاءة على خدمة الثقافة والخلق والابداع فى كنف الحرية المسؤولة وبالتالى خدمة الشباب وضمان شروط ازدهار المجتمع والنهوض به فى هذا الباب ملاحظا ان تصور الحكومة للنهضة الثقافية ينبنى على تعايش الاحتراف والهواية فى الممارسة الثقافية وتوفير ما تتطلبه هذه الهواية من امكانيات مادية .

وأوضح السيد محمد مزالى انه يتعين على المنتسبين الى الثقافة فى مختلف أشكالها التعبيرية ان يؤمنوا بأن لهم رسالة عليهم ان يناضلوا فى سبيل ادائها وان يعملوا ليكونوا القدوة الحسنة للشباب بما يتمتعون به من فنيات وما يتحلون به من روح البذل والعطاء والتفانى فى خدمة الغير ومن تعلق بمبادىء ومثل عليا .

وأشار الوزير الاول الى التطور السريع الذى عرفته الحياة الاجتماعية فى تونس فى حقبة زمنية قصيرة لا تتعدى الجيل والى ما اصبح يفرضه هذا التطور من ضرورة العناية بالبيئة الثالثة بتوفير أكثر ما يمكن من التجهيزات الثقافية والرياضية والشبابية التى تستقطب الشباب وتحسن استيعابه وتستجيب لما يطمح اليه من ممارسة لنشاط بريء يهذب ذوقه وحسه ويفتق ملكاته ويثرى فكره وتجربته .

ثم تطرق السيد محمد مزالى للحديث عن البعد الخارجي الذى يجب ان يكون للثقافة وللفكر التونسيين فذكر بجملة من التدابير التى اتخذتها الحكومة لتشجيع حضور تونس ثقافيا فى المعارض والملتقيات والمكتبات على الصعيدين العربى والعالمى مؤكدا أن هذا العمل سيتواصل لتدعيم مكانة تونس وتأكيد هذا الحضور بما يعكس حقيقة النهضة الثقافية والفكرية التى تعرفها تونس .

وأكد الوزير الاول فى خاتمة كلمته على حرص الحكومة على مواصلة العمل لتكون للثقافة مكانتها ضمن بقية الاولويات والاختيارات القومية الاساسية وعلى السعى للاخذ بعين الاعتبار كل التوصيات والمقترحات التى سيتمخض عنها المجلس الاعلى للثقافة .



ثم شكر كل العاملين فى الحقل الثقافى فى مختلف المستويات والمؤسسات لما يبذلونه من جهد ويتكبدونه من تضحيات للنهوض بالثقافة التونسية وجعلها تساير النهضة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع التونسى »٠

وبهذا يكون المجلس الاعلى للثقافة قد انطلق فى أعماله وسنوافيكم فى العدد القادم بأهم مقرراته نظرا الى أهمية الحدث ولما سيضبطه هذا المجلس من خطط سيكون لها الاثر العميق فى النهضة الثقافية فى البلاد واشعاع الثقافة التونسية فى محيطها الطبيعى العربى الاسلامى وفى العالم أيضا .

البشير بن سلامة

# مطلوب عقد قمة ثقافية عربية

## بقلم : محمد مزالي

« عشرات الخطوات تفصل المدرسة الصادقية عن القصبة ومقر الوزارة الاولى التونسية ، خطوات معدودة بين مقاعد الدراسة وقاعة اجتماع مجلس الوزراء. لكنها اقتضت من الطالب الثانوي محمد مزالي(*) ( من مواليد المنستير في 23 ديسمبر 1925 ) عشرات السنوات ، قبل أن يصبح ولاول مرة وزيرا للدفاع في عام 1968 ، وقبل أن يصبح منذ عام 1980 وزيرا أول . خطوات معدودة استلزمت سنوات وسنوات ، لان مزالي لم يكتسب موقعه بناء لتركة سياسية أو لزعامة جاهزة ، بل لنفس طويل في خدمة الغير ؛ فنشأته في عائلة متواضعة وتيتمه المبكر ودراساته العليا الفلسفية والادبية لم تعده لان يصير سياسيا متمرسا ، بل لان يعتمد على عزيمته وقوته النفسية ، قبل كل شيء .

ان تكوينه ، ودراساته واحلامه ايضا دفعته لان يصبح استاذا . ولكن من قال ان رئيس الوزراء حين يؤدي مهمة التوجيه والارشاد كما يصوغها مزالي في بلد نام ومستقل حديثا لا يحتاج الى مثل هذا الدور التربوي ؟ « لم انقلب ولم اتقلب دوما » كما قال ! إنه صادق ، مثابر ، مجتهد ودؤوب . تدرج في سائر مواقع السلطة، كعداء المسافات، عزيمة قوية لعداء لا يبدد قوته في الامتار الاولى . هل واصل هاوي الرياضة وهو الوزير الاول مزاولة العدو ؟

ان لبنة تكوين محمد مزالي تتمثل في تصوره الثقافي للسلطة والفكر ، لهذا فضلنا اجراء حديث ثقافي ، فكري وانساني معه وهو الكاتب والمفكر الذي يزاوج بين السياسة والكتابة منذ عام 1955 حين أسس مجلة « الفكر » الشهيرة ، وحين اصدر كتابه الاول (الديمقراطية) وحين تسلم اول منصب سياسي في سنة 1956 كرئيس لديوان وزير التربية القومية » .

**★ منذ سنتين ونصف وانت تتولى رئاسة الوزراء وقد انتهجت خلالها ما اسميته بـ « سياسة الحوار » كيف تقوم المحصلة**

---

(*) نص الاستجواب الذي أجراه شربل داغر لمجلة « كل العرب » في العدد التاسع عشر الصادر بتاريخ 5 جانفي 1983 مع الاستاذ محمد مزالي .

**العامة لهذه السياسة ؟ هل استطعت فعلا ، والى أية درجة ، اقامة التوفيق الذى طالما تكلمت وكتبت عنه سابقا بين الفكر والسياسة ؟ أية عبر ، أية خلاصات ، أية تصورات توصلت الى الاقتناع بها بعد هذه التجربة ؟.**

ـ ان الجدل بين السياسة والفكر منعش وحي وصورته فى رأيى هو ان السياسة ممارسة يومية لمحاولة تجسيد كل او بعض ما يوحى به الفكر ، أو ما توحى به الثقافة الحق لرجل الفكر ، او لمن يحمل مبادىء ويؤمن بقيم ويتخذ مواقف في الحياة بقدر ما يستطيع المفكر او المثقف ان يكون جريئا طموحا ومقداما فى اتخاذ المواقف . ان الممارسة اليومية والاختلاط بالناس يكشفان صعوبة الانتقال من طور النظر او الرؤية او الحلم الى مستوى الواقع فى هذا الجدل أى بين سماء الافكار والقيم وواقع البشر والمشاكل اليومية . المهم والصعب في الوقت نفسه هو أن لا يتيه الانسان السياسى فى خضم المشاكل وان لا ينسى الرجوع الى القيم . وان لا يتحول تمسكه بالقيم نسيانا للواقع البشرى ، بحيث يجمع بين المثالية والواقعية .

**⋆ هذا هو الجدل أو المعادلة النظرية العامة ، ولكن كيف ترى هذا في تجربتك الخاصة ؟.**

ـ هناك السياسي المحترف ان صح التعبير الذى يأتى الى السياسة لانه يحب السياسة أو يلتذ بالنفوذ أو يحب أن يرضي مطامحه الشخصية ، وهناك السياسي الذى يعتبر المسؤولية السياسية أداة وقوة ونفوذا يتمكن بها كلها من تحقيق بعض احلامه أو تجسيم قيمه العليا فى الواقع . وهناك السياسي المحترف الردىء الذى يستعمل كل الوسائل لبلوغ غايته أى لاعتلاء الكراسى أو الاحتفاظ بها . وهناك السياسي الشريف الذى يعاشر الناس ويختلط بهم لخدمتهم فهو اذ ينغمس فى الواقع لا يتلاوث ولا يتورط فهو فى النار ولا يحترق كما يقول المثل العربى .

**⋆ الى أى نوع من السياسيين هؤلاء تنتسب ؟.**

ـ انى أحاول أن أوفق فى تحقيقى أو فى تجسيمى كل ما كنت أو ما لا أزال أحرص على تجسيمه . فاننى حققت البعض ولا أشعر على الأقل

بأني أتيت من الأفعال والأقوال ما يتنافى مع ما لا أزال أؤمن بـه وما أحاول الدعوة اليه وتجسيمه في الواقع .

فعلى المستـوى السياسـي وعلى سبيل المثال أنا لا أزال منذ نعومـة أظفاري مقتنعا بأن تونس تنتسب الى أمة عربية اسلامية وبأن لها مقومـات قومية وروحية وبأن لها خصائص تاريخية وحضارية ، كما أنه عليها ان تتعامل مع الغير من منطق الأخذ والعطاء لا من منطـق الانحناء أو التقليـد ، وبـأن عليها أن لا تنزوي أو ترجع الى الوراء . منذ نعومة أظفاري الى حيـن تقلدي مسؤولياتي الوزارية جسـدت هـذه المبـادىء أو على الاقـل حـاولت ! في علاقاتنا مع الدول . ومنذ سنتين ونصف أعتقد وبكل تواضع اني سـاهمت في تمتين عـلاقات الاخـوة والتعاون بين تـونس وكـل شقيقاتها العـربية وقد زرت معظمها . وتحدثت الى الاذاعـات والتلفـزات وألقيت المحـاضرات وأبرمنا اتفاقيـات ودعمنا تنقل الأشخـاص (الخبـراء ورجـال الصحافـة والمفكرين وذلك لأني أؤمن بأن تونس هي جزء لا يتجزأ من الأمـة العـربية الاسلامية وذلك على الرغم من اعتقادي بأن لتونس خصائصها كما أن لكل بلد عربي خصائصه الا أن هذه الخاصيات متكـاملة ومشـرية بعضهـا لبعض حتى تتكون منها جميعا الثقافة والفكر العربيان الاسلاميان . فأنا لم أفعل شيئـا يمكن أن يفهم على أنه قطيعة أو ابتعاد أو جفوة أو تعال أو تصاغر ازاء الأمـة العربيـة . كذلك وفي نفس السياق يمكن أن أتحدث عن موقفنا من قضيـة فلسطين . فجاء أكثر وضوحا وشمولا وتواصلا .



ويهمني أيضا في هذه الاشارات السريعة أن أتعرض لمسألة الديمقراطية والاشتراكية . فأنا ، كرجل فكر وثقافة ، أؤمن بحرية المواطن بصفة عامة ، وبحرية الأديب والخلق الفكري بصفة خاصة وهذا ما مارسناه : فقد أطلقنا في سنة 1980 بعد أسابيع فقط من تشكيل الحكومة سراح عشرات الطلبة الذين كانوا مسجونين منـذ عام 1974 ، كمـا أطلقنـا سـراح النقـابيين ، بل استصدرنا بفضل تفهم السيد الرئيس قانونا للعفو التشريعي الخاص . فما من نقابي أو سياسي طلب العفـو الا ومنحـه ايـاه السيـد الـرئيس . ناهيك ان هناك عددا من التونسيين الذين لجأوا الى العالم العربي أو الـى أوربـا منـذ عشـر أو خمس عشرة سنـة قد رجعـوا الآن الى تـونس وهـم يتمتعون بكل حقوقهم وما يزالون على أفكارهم . فنحن لـم نشترط عليهـم أبدا أن يطلقوا أفكارهم أو أن يتنكروا لهـــا .

كذلك فاننا أرجعنا حيوية الاتحاد العام التونسـي للشغل الـى سابـق نشاطها ونسجل هنا ان الاتحاد يتمتع بالحرية ويأمر ببعض الاضرابات .

كذلك أرجعنا الحياة لبعض الأحزاب ، فالحزب الشيوعي الذى كان محظورا منذ سنة 1962 أصبح الآن حزبا شرعيا . ناهيك ان عدد جرائد ومجلات المعارضة تتجاوز عدد جرائد ومجلات الحزب أو الحكومة . وهذا قد يبدو متواضعا للذين يطلبون المطلق . لكن لا بد من خطوات ، خاصة وان الديمقراطية ، كما قلت ذلك المرات العديدة هي مكسب يحصل بالتدرج وبناء مستمر يساهم فيه الجميع سواء من هم فى جبهة السلطة أو من هم الآن فى جبهة المعارضة .

كذلك بالنسبة الى الاشتراكية فقد اتخذنا اجراءات هامة فى الحماية الاجتماعية واستصدرنا قوانين لزيادة منحة المتقاعدين وقوانين لحماية أصحاب الحرف والمهن الصغرى وصغار الفلاحين . وهكذا يبدو جليا ان منهج سياستنا يعتمد على مبدإ محبة الشعب والاخلاص له والتفانى فى خدمته .

وفى مستوى هذا الجدل بين القمة والقاعدة نتحرك لنوجد توازنا ونعمل ما استطعنا لكى نحقق بعض أو كل ما نؤمن به كرجل فكر أو كانسان بصفة عامة .

**★ تزاوج منذ ربع قرن بين الكتابة والسلطة ، وهو شأن قلما عهدناه عند كبار المسؤولين العرب ، فهل جنت عليك السياسة ؟ والى اى حد تبقى خلقية الكاتب نقية من احابيل السلطة ودنسها ؟.**

ـ لا أدرى هل جنت على السياسة أم هل جنى الادب والثقافة على السياسة . لكن اعيد القول بأن السياسة سياستان : سياسة يمكن أن تجنى وأن تكون خبيثة وسياسة يمكن أن تكون شريفة باعتبارها اداة لا غاية .

وانى أعتقد ان السياسة لم تورطنى مع ضميرى ولم تدفعنى الى التنكر لما أؤمن به من معان وطنية أو قومية أو انسانية فاعتقد انى لم آت شيئا أو قولا يمكن أن يحمر منه وجهى أو يخفضنى . فأنا أستطيع أن أنظر الى جميع المواطنين وجها لوجه فلا أنحنى . ليس معنى هذا ان كل الناس متفقون معى ، فالاختلاف فى الرأى لا ينفى التقدير المتبادل ، وهذا ما اعتز به .

**★ دعوت دوما الى بناء (الشخصية التونسية) المميزة عربيا والمتحررة من**

**الاستعمار الفرنسي تحديدا . هل توصلت تونس فعلا الى ما تسميه في كتاباتك بـ « التونسة » ؟ .**

ـ أنا اؤمن كما قلت بالثقافة العربية الاسلامية لأسباب يطول شرحها وأعتبرها النهر الذي يتغذى بروافد كثيرة من كل قطر عربي . وقد قلت وكتبت منذ سنوات انه يجب على كل قطر عربي أن يحافظ على مميزات كل جهة وكل قرية بطقوسها وأفراحها وأتراحها، بفن الطهي فيها، بتقاليدها، لان خصوصية كل قطر هي مجموعة خصوصيات كل انسان وكل جهة . بل إني أذهب الى أكثر من ذلك : فانه من المصلحة ومن البداهة ان يحافظ الأب على عائلته وأن ينمي شخصية كل ولد من أولاده . فسنة الله في خلقه تقتضي بأن يكون كل شخص متميزا عن غيره ، والتمايز لا ينفي الاتحاد والتكامل ، فأنا عندما أنادي بالتونسة فهذا يعني انني أنادي الى خدمة الثقافة التونسية والى جعل الادباء التونسيين ، مثلا ، عندما يستوحون الطبيعة ليكتبوا شعرا أن يستوحوا مناظر تونس وجبالها وبساتينها لا نهر النيل ولا الفرات ولا دجلة ولا جبال مراكش . علينا أن نترك هذا الأمر لاخواننا الشعراء هناك . فأنا أدعو الادباء الى الاصالة والى الصدق في التعبير . الامر الذي دعا اليه الكتاب الاوربيون عبر استلهام « التربة المحلية » . فأنا كتونسي ان عملت على تقليد الموسيقى المصرية أو اللبنانية او المغربية فسأكون عالة على الموسيقى العربية لأني لم أضف شيئا جديدا الى رصيد الثقافة العربية . فالتونسة هي احترام الذات والتعمق فيها هي العزيمة الفولاذية للابداع ، وهي التقدم بهذا النتاج المتواضع الى العائلة العربية . وبهذا نجيب أيضا على منطق الاستعمار ، فالاستعمار كان يعتقد في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ان مركز الحضارة هو اوربا ، وان باريس هي « ام الدنيا » كما يقول المصريون بالنسبة لمصر . حتى سارتر لم يتأخر عن القول في منتصف الاربعينات ، وقد كنت آنذاك طالبا بباريس ، إن مستقبل الادب في الدنيا لن ينطلق الا من اوربا ، اي انه نفي وجود أدب عربي أو ياباني أو أمريكي جنوبي أو افريقي لماذا ؟ لأنه تغذى بثقافته الانانية القومية واعتبرنا مجرد مستهلكين . فلكي ينتج ادباؤنا ويبدعوا علينا أن ننمي فيهم هذه الخصائص الوطنية وأن نجعل شبابنا يشعرون بهويتهم .

*** ولكن ألا يمكن أن تشجع مثل هذه الأفكار الدعوات « الانفصالية » العربية ؟**

ـ هذه ليست دعوة للانفصالية ، هناك طبعا نظريات واحزاب عربية تعارض كلامي هذا وتقول بأننا من المحيط الى الخليج نسخ مطابقة لأصل واحد ، وأنا لا أدرى ما هو هذا « الاصل » هل هو الأصل الذى نادى به عمر بن الخطاب أم عمر بن عبد العزيز أم أحمد شوقي أم المعتزلة أم أحمد الشقيرى أم عبد الناصر أم ميشال عفلق ؟.

**★ ولكن ألا تعتقد بأن الشخصية التونسية لم تتخلص بعد من إعجاب ـ ولو خجول ـ بالثقافة الفرنسية وبأنها لم تزل تبدى حذرا ـ ولو مخففا ـ من الثقافة العربية ؟.**

ـ أقول : « نعم » و « لا » في آن واحد .. أقول : نعم لأن جيلي على الأقل هو ضحية الاستعمار ، نحن مقضى علينا تاريخيا لاننا تعلمنا بالفرنسية ولان الاستعمار الفرنسي أراد ان يسحقنا وأن يقطعنا من أصولنا . أنا شخصيا تعلمت الصرف العربي بالفرنسية في المدرسة الصادقية وكان أستاذى في هذه المادة فرنسيا !! فمنا من حن الى أصله واعتز بدينه وبلغته ورنا الى عالمه العربي ماضيا وتاريخا ومصيرا اما لاسباب عائلية أو بالخصوص بفضل الحركة الدستورية الحزبية التي أنشأها بورقيبه . وأنت تعلم أن بورقيبه قبل أن يؤسس الحزب الحر الدستورى التونسي في 2 آذار / مارس 1934 قاوم حركة التجنيس وكان التجنيس في حينها اغراءات أقرتها فرنسا في القانون لتحمل التونسيين والتونسيات على طلب الجنسية الفرنسية (زيادة الثلث على معاشاتهم) . فبورقيبه المحامي الشاب وحده ، لا كبار المشايخ أو مصابيح الظلام ، هو الذى حرض التونسيين على التمرد بكل ما اوتوا من قوة ضد سياسة التجنيس. فقد تغذينا اذن عائليا وحزبيا غذاء وطنيا. ولكن هناك الكثير من الذين ضاعوا حضاريا وذهبوا ضحية الاستعمار . لهذا فانك اذا وجدت نماذج من هذه الضحايا فلا تحكم بالاستناد اليها على الشخصية التونسية . فالشخصية التونسية ليست صورة جامدة أو واقعا منحوتا نهائيا . انها ديناميكية وواقع متغير ومتعدد . فانا شخصيا أعتز وافتخر بأنني لما كنت وزيرا للتربية القومية قمت بأعمال اصلاحية لجعل التعليم ينغرس ويتجذر في مقوماتنا . وهذا ما حصل ، بحيث انى اطمئنك بأن نشأة اشبالنا وشبابنا ستكون أنصع وأنقى وأكثر اندماجا من وجهة نظر الثقافة الأصيلة من الكهول الذين عايشوا الاستعمار ، وكانوا بالرغم منهم ومن حيث لا يشعرون ضحايا له .

اما ما تقوله عن حذرنا من الثقافة العربية فهذا غير وارد في اعتقادي اللهم الا اذا استنكفنا أو انكمشنا ازاء بعض الانتاج السخيف أو الضحل في بعض المسلسلات التلفزية وفي بعض الاغاني والافلام السخيفة .

**★ في هذه الحالة ، على الأقل ، يكون الانكماش دلالة صحة ؟**

ـ بالطبع .

**★ منذ سنة ونصف قلت في خطاب شهير : «لا ثقافة بدون حرية» فهل ان حرية الأديب مضمونة في تونس ؟ ماذا فعلت لخدمة زملائك الكتاب التونسيين ؟.**

ـ ان الجواب على هذا السؤال سهل لأنني قبل أن أكون وزيرا أو حتى وزيرا أول بل منذ ان كنت شابا استاذا أو مؤسسا لمجلة الفكر (تشرين الاول/ اكتوبر 1955) لم أتصرف على أساس طلب الرخصة من أحد . فأنا لم أطلب أبدا من أي كان أن يعترف لي بحريتي في الابداع . ذلك انالأديب أو المفكر الأصيل اذا كانت له رؤية أو مواقف يدافع عنها ويضحي في سبيلها . ان ما قد يعتبره البعض خنقا لحرية الفكر هو في الحقيقة تضييق على حرية العبث أو الفوضى ، لأنهم يخلطون بين الخلق الفكري وبين الهذيان السياسي . أنا أقول لهؤلاء ولبعض الشبان : دعونا من هذا الخلط اذا كنتم تريدون المعارضة والرفض السياسي ، ادخلوا البيوت من أبوابها وقولوا بأنكم معارضون لهذا النظام ، اما أن تكتبوا خطبا سياسية هشة وضحلة في الغالب وتعتبرون هذا خلقا أدبيا فهذا غير ممكن وغير معقول .

**★ ولكن أنت ماذا فعلت ؟.**

ـ أنا استطعت بكل تواضع أن أؤسس مجلة « الفكر » وهي الآن في سنتها الثامنة والعشرين دون أن تتوقف مرة واحدة ولا تعطلت يوما واحد عن موعد صدورها . أنا أفضل أن لا أجيب عن سؤالك ، أفضل أن تجيب عنه أنت وأن يجيب عنه الناقدون بتصفح مجلدات المجلة ، حينئذ يمكنكم التوصل الى الاستنتاج بأن المجلة نشرت نصوصا جريئة وبأنها دلالة على حرية الفكر في هذا البلد .

**★ تصديقا لهذا نشرت الفكر في عام 1968 نصوصا جريئة من « الانسان الصفر » لعز الدين المدني وقد كنت في حينها وزيرا للدفاع .**

ـ بعض المتزمتين جمعوا اعداد المجلة وأحرقوها وبعض رجال الدين قابلوا الوزير الأول حينذاك واحتجوا على المجلة .

لقد نشرت هذا المخطوط لأني في قرارة نفسي كنت اعتبر عز الدين المدني كاتبا ممتازا ، ولو انني شخصيا لا اوافقه على بعض أفكاره ، نشرت النصوص لانني مؤمن بالخلق والابداع ، والمدني مبدع وغيره كثيرون ، ونحن ننشر لهم ، الأمر الذي يؤكد حرية الابداع .

**★ الا أننا في السبعينات وفي مطلع الثمانيات قلما نقرأ في « الفكر » نصوصا جريئة ولوجوه أدبية شابة . ماذا جرى ؟ هل الادباء الشبان في تونس يجدون في تقديمات الدولة واجهزتها ومبادرتها ما يشجعهم على الانتاج والابداع ؟ ماذا فعلت لهم ؟.**

ـ شجعناهم ، وشجعنا حتى مجموعة من الشعراء الشبان الذين ثاروا على القوانب في الشعر المقفى والحر في الوقت نفسه ، ولكن بعض هؤلاء ـ سامحهم الله ـ طالبونا أن ننشر انتاجهم فقط وان نكف عن نشر انتاج الكهول والشيوخ وأصحاب الشعر الموزون والمقفى .

ورأينا أن هذا غير معقول ، فنحن نتقبل انتقادات الكبار من أجل تشجيع الشبان لكننا لا نعتقد ان من حق هؤلاء الشبان أن يجبرونا على عدم نشر انتاج غيرهم . فأين حرية الفكر اذن ؟ في الفترة الزمنية التي أشرت اليها نشرنا نصوصا كثيرة لاسماء لامعة . وفي نهاية الامر، فان « الفكر » ليست مجلة الحكومة ولا مجلة وزارة الشؤون الثقافية انها مجلة شخصية وأنا لي الحق في الحكم على ما ينشر وما لا ينشر فيها .

**★ امازلت حتى الآن تقرأ وتبت وتفصل في شأن النشر فيها ؟ .**

ـ نعم بصفة عامة ، لأن سر نجاح المجلة يكمن في انني لست محترفا فما من أحد أجبرني على تأسيس مجلة « الفكر » ، أنا اعتبرها هواية ، هي بمثابة ابن من ابنائي ، عندما أقرأ انتاجها أتمتع به كما يتمتع المغرم بكرة القدم أو بسباق الخيل ، أنا لا أتقاضى أي فلس عن هذا. وبالتالي فيحق لي أن أتصرف فيها وأن احتفظ كذلك بحريتي في الخلق وفي التقييم كأي مواطن من المواطنين .

ومن لا يوافقني على هذا فما عليه الا أن يجرب ما جربت ويعاني ما عانيت ويخلق مجلة أو جريدة . ان البعض حاول لكنه افتقر لطول النفس وكما يقول المثل : « يطول السفر ويرتخي الوتر » . يمكننا ان نطلق أحكاما عديدة على «الفكر» لكننا لن نختلف أبدا حول هذا الحكم وهو انها امتازت بطول النفس .

**★ هل يتوفر لك الوقت للكتابة ؟ ماذا تكتب ؟ اية أمور تشغلك فكريا وهل تغيرت**

**علاقتك بالورقة البيضاء عما مضى ؟ هل تراقب نفسك أكثر ؟.**

ـ الواقع اننى لم أكتب مثلما كنت أكتب من قبل لسبب بسيط وهو أن الكتابة تقتضى لا أقول : التفرغ بل نوعا منه ، أى عدم الانشغال الكثير بأمور خارجة عن الكتابة . لما كنت مديرا أو وزيرا كان يشغلنى قطاع محدد اما الآن فالمشاكل والمشاغل كثيرة ومتنوعة ، وتفرض نفسها على فى كل وقت فلا أستطيع أن أركز تفكيرى على موضوع معين . لهذا فانا أكتب أقل من قبل ، وأعتنى أقل بما أكتبه .

**★ ماذا تكتب ؟**

ـ انى أكتب أو أرتجل خطبا فى مناسبات أو ملتقيات ثقافية أو شبابية ، ثم آخذ المادة الخام وأهذبها ، فتكون نصا نثريا ، على أن أجمع النصوص لاحقا فى كتاب . فكلما أتتنى فرصة لالقاء محاضرة لا أتردد ، كما قد يتردد غيرى من السياسيين فى أغلب الدول لأنهم يعتبرون الثقافة مضيعة للوقت ، أنا على العكس منهم أغتنم هذه المناسبات لكى أرجع الى نفسى للتعبير عما يشغلنى فكريا وحضاريا لأفلت من جاذبية العمل اليومى والمشاكل المرهقة .

**★ لكل كاتب قارىء يحضر حين يكتب أمامه ، يخاف منه ، يكتب له . من هو قارؤك؟**



ـ الشبان بصفة عامة ، ليس لى قارىء معين .

**★ ما هو الكتاب الذى تحلم بكتابته ؟**

ـ أرجو أن أجد الوقت لكى أكتب مذكراتى ، ليس من وجهة زمنية أو سياسية ، بل من وجهة انسانية ، من نوع « الأيام » لطه حسين فانا مثله تعذبت كثيرا فى شبابى وعشت تجارب لا تخلو من شحنة انسانية ثرية ، فقد يجد فيها القراء العرب تجاوبا أو تماثلا مع ما عاشوه . ولكننى لا أعرف ما اذا كنت سأكتب هذا الكتاب يوما ما .

**★ الى جانب السياسة والفكر انت تحب الرياضة وفى هذا الأمر أنت مثل نادر بين الحكام العرب . ماذا تجلب لك الرياضة ؟ أمازلت تمارسها ؟.**

ـ لا أزال أمارسها . أنا لم أدخن فى حياتى ولو مرة ، الرياضة هى سجارتى وافيونى ومتعتى ، عندما أمارس الرياضة أشعر براحة الاعصاب وبهدوء المزاج . فأنسى الهموم وأتجدد ، وأشعر بأن الحيوية تزداد ، إنى ارثى لحال المحرومين من الرياضة ، فهم لا يعرفون أى شىء ضيعوا . فان الله رزقنا

جسماً ، وعلينا أن نروضه وأن لا نخجل منه وأن نوفر له أوفى لياقة ممكنة . للجسم امكانيات خارقة ، وله علاقة بالروح والمزاج . الرياضة أمر عجيب ومنعش . ولن أتخلى عنها ما دمت حيا . ثم انى اعتقد ان بعض السياسيين يحتاجون الى الروح الرياضية .

**★ من أنت ؟ هل تعرف نفسك ؟ بماذا كنت تحلم ؟ هل صرت الشخص الذى حلمت به ؟ ماذا تؤمل أن تفعل بعد ؟**

ــ لم أحلم أبدا أن أصير وزيرا أو وزيرا أول ، كنت احلم ان اصبح استاذا .

**★ بهذه البساطة ؟**

ــ أجل ، وكنت أحلم بأن أخدم بلادى وأساهم فى معركة تحرير تونس ، وان أخدم غيرى . ان خدمة الغير أمر راقنى فى طفولتى وشبابى بحيث ان وجودى فى الحكومة هو امتداد لهذه الخدمة ، وللنضال من أجل تحرير تونس فحينما دعانى السيد الرئيس لأكون مديرا عاما للاذاعة والتلفزة (1964 ــ 1966) أو وزيرا للدفاع الوطنى (1968 ــ 1969) أو غيرها من المهمات والمسؤوليات الحكومية ، كنت أفاجأ دائما ، خاصة حين كلفنى بالوزارة الأولى . انه شرف عظيم ومسؤولية جسيمة أنا لم أحلم بأن الاقدار ستيسر لى خدمة بلادى فى هذا المستوى وبهذه الامكانيات .



**★ أنت من عائلة متواضعة تيتمت مبكرا منشأ متواضع وحياة صعبة اذن فكيف تقلدت كل هذه المناصب وتحملت كل هذه المناصب واضطلعت بكل هذه المسؤوليات ؟ أية صفات فيك جعلتك تصل الى ما وصلت اليه ؟ هل ساعدتك الظروف .**

ــ فقدت أبى وأنا فى المدرسة الصادقية وكنت أؤمن بأن العلم والنجاح فى التعليم ، الثانوى والعالى ، هو المدخل الضامن للارتقاء فى السلم الاجتماعى على أساس خدمة الغير . فالاستاذ يستطيع أن يخدم غيره لأنه يدرس الشباب . لهذا كنت حريصا على النجاح فكنت دوما طالبا مجتهدا الا أننى جمعت دوما بين الدرس والعمل فى الشارع أى فى الحزب وفى الهيئات الثقافية والنقابية . أتذكر اننى كنت عندما أعود الى تونس فى العطلة الصيفية أقضى وقتى فى إلقاء المحاضرات والمشاركة فى التمثيليات وتنظيم الرحلات متنقلا بين المناطق ومتعرفا عليها ، اما البعض من زملاء الدراسة فكانوا يقضون أوقاتهم فيما لا يعني بل كانوا يتثاءبون حياتهم . ومما ساعدنى على الوصول الى هذه المناصب هو طول النفس

وثقة الرئيس وثقة الشعب ، فالمسؤولون والمواطنون جربوني منذ ثلاثين سنة في كل المسؤوليات التي تقلدتها . اذ لا توجد قرية في تونس لم أزرها أو لم ألق فيها محاضرة أو خطابا لقد رأوا في الرجل المخلص الذي لم يلعب بعقله بريق المسؤوليات أو الالفاظ ، بل ظل متواضعا صادقا ومحبا لشعبه . تكونت بيني وبينهم علاقة تقدير متبادلة وانا ، في نهاية الامر لم انقلب ولم أتقلب ، سواء لما كنت تلميذا يتيما أو أستاذا مربيا أو حين صرت وزيرا أول .

**★ أنت جدي .**

ـ أجل ، لكن هذا لا يعني انني لا أحب الهزل والنكتة ، آخذ الأمور وأباشرها بشكل جدي وعندما اتخذ قرارا أو أضع هدفا لي فانني أسخر كل امكانياتي وأذهب فيه بكليتي وأعيشه بصدق .

**★ أليس غياب والدك ، وأنت الصبي والوحيد في العائلة هو الذي جعلك تأخذ الأمور بجدية ـ وأنت تعتمد على نفسك ـ لتصبح عصاميا الى هذه الدرجة ؟**

ـ صحيح ان وفاة والدي تفسر هذا بالاضافة الى تواضع أحوالنا الاجتماعية . هذا ما جعلني أعتمد دوما على نفسي ، في زواجي ، في اختيار مهنتي ثم في ممارستها وفي حياتي الاجتماعية فلا أعرف للتردد والحيرة سبيلا وهذا ما اذكر به الشباب دوما .

**★ ماذا تتمنى أن يحفظ لك التاريخ من مسيرتك الشخصية : أية انجازات .**



ـ أولا لا ينسى انني حاولت قدر استطاعتي التأثير على مناهج التعليم بحيث تخدم المبادىء والاختيارات القومية ، وخصائص شعبنا العربي المسلم . هذا أهم شيء خصصت له جهودي ثانيا الجهد الذي بذلته في أعمالي وكتاباتي من أجل الشباب لتوجيهه وتكوينه وذلك منذ ثلاثين سنة على الأقل ثم لا تنسوا مجلة « الفكر » !...

**★ السؤال الأخير يبقى لك أن تطرحه على نفسك ، وأن تجيب عنه اذا أردت .**

ـ هذا سؤال طريف

السؤال الذي أهتم به دوما هو مستقبل العرب الثقافي . ان الكثير من مشاغلي لا يهم تونس فقط بل العالم العربي ، فالثقافة العربية متذبذبة ، ومهددة باخطار عديدة : صهيونية واستعمارية ، ومهددة أيضا بالتقوقع من جهة وبتقليد اعمى للغرب من جهة أخرى . ولهذا فان السؤال والجواب هو : متى يهتدي الملوك والرؤساء العرب الى عقد قمة لتوحيد المناهج التربوية ، حتى يصنعوا شبابا يتكلم لغة واحدة لأن الوحدة العربية لا تكون ولا يصنعها الا جيل جديد من العرب يتكلم لغة واحدة ويرنو الى قيم عليا واحدة !..

# نزهة في الحديقة الحرام

شعر: د. جعفر ماجد

يَـأتينِـي حُبُّـك مِـنْ كـل الأنْحَـاءْ
كالسيل الجارفِ كـالإعصـارْ
يـأتينِـي حُبُّـكَ في كـلّ الأشيـاءْ
بـالـرعـد القـاصف والأمطـارْ
يأتيني حُبُّـك مُخْتَفِيـا
في البحرِ .. وفي الأشجار وفي الأزهَـارْ
يَـأتِينِي ... فيُغَيِّـرُ خـارطةَ الدّنْيَـا
ويُحَـاصِرُنِـي .. مِثْـل الثـوارْ
وإذا بي .. كـالملك المخلـوعِ ومملكتِـي
لا شَيءَ بِهـا .. غَيْـرُ الآثَـارْ
أنـا أعْلَـمُ أنّ الحُبّ مُغَـامَـرَةٌ
في قَلْبِ النّـارْ
لـكنّي لَـمْ أعْـرِفْ أنّ الاغْـرَاءْ
فِي جِسْمِـك أخْطَرُ مِنْ كـلّ الأخطارْ
أنـا أعلـمُ أن جَمـالك طـاغِيَـةٌ
لا يَحْتَرِمُ القَـانُـونَ ولَـكنّي
لـمْ أعْرِفْ قَبْلَـكِ .. هَـذَا الاسْتِعْمَـارْ

* * *

يا منْ بالحُبِّ حكمْتِ عليَّ برغمِ الناسْ
أشتاقُ لصوتكِ في صمتي
وأخافُ منَ الحُرّاس
لكنّي أهربُ منكِ .. إليكْ
لا أعلمُ كيفَ أجيئكِ منْ خلفِ الأسوارْ
يا صاحبةَ الشفةِ المملوءةِ مثلِ الكاس
يا أيتها المزروعةِ بالألغام سأعبرُ نحوكِ كلَّ خطوط النارْ
وسأقطعُ كلَّ الأسلاكِ المشدُودةِ بالتيارْ
وأنبهها كلَّ الأجراس
وسأسرقها تلكَ الأقمارْ
وسأغلقها تلكَ الأقواس
وإذا ما نمتُ على وجعي
وسقطتُ أمامكِ كالعصفورِ بيومٍ حارْ
سأعودُ إليكِ فلا ... تهمي
سأعُودُ .. أعُودُ .. أعُودُ
لأخذِ الثّارْ

د. جعفر ماجد

# رسالة الشباب المؤمن في عصرنا هذا ...

بقلم : د . محمد فاضل الجمالي

نحن من المعتبرين بان الشباب هو عنوان قوة الامة ومصدر حيويتها وكما يكون الشباب اليوم تكون الامة غدا . ولذلك أصبح من الاهمية بمكان ان نتعرف على الرسالة التى يتعهدها شبابنا المؤمن فى عصرنا هذا فنطمئن على مستقبل الامة .

من المفيد قبل البحث عن رسالة الشباب المؤمن ان نحدد مفهوم كلمة « شباب » ومفهوم كلمة « مؤمن » ثم طبيعة « عصرنا هذا » .

ان كلمة شباب يمكن ان تعرف زمنيا او سيكولوجيا او اجتماعيا أو حيويا .

**أما زمنيا** فيعتبر البعض ان الشباب هو الحقبة الممتدة من بعد سن البلوغ الى نحو الثلاثين من العمر ونحن نرى ان يمتد عهد الشباب الى سن الاربعين تبعا لقوله تعالى : ... « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه واصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين » ( الاحقاف 15 ) فالمرء فى العشرينات والثلاثينات من عمره ما يزال يتمتع بشبابه الزمنى . وفى سن الاربعين يكون قد اكتمل نضجه واتسعت خبرته الحياتية . ففى هذا السن خص نبينا عليه الصلاة والسلام بالرسالة .

**واما سيكولوجيا** (نفسيا) فالشباب هو مرحلة من العمر تكون المدارك العقلية فيه قد اكتملت والذكاء الفردى قد بلغ أوجه فالمرء السوى يدرك المفاهيم المجردة

ويبحث عن عقائدية كما يتطلع الى المستقبل بآمال واصلاح . ثم انه دور تكوين المسميات (وهى المثل العليا الواقعية) فى حياته فيسعى لتحقيقها . فطالب الطب قد يتخذ أحد الاطباء العظام مسمى له وطالب العلم قد يتخذ واحدا من كبار العلماء مسمى له والفلاح قد يتخذ فلاحا نشيطا وناجحا فى انتاجه مسمى له . والفنان قد يتخذ واحدا من كبار الفنانين مسمى له والعسكرى قد يختار واحدا من كبار القادة الفاتحين مسمى له والمؤمن يجد فى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام أو احد الصحابة الكرام مسمى له .

وأما **اجتماعيا** فعهد الشباب هو عهد بحث الشباب عن موقعه فى المجتمع وعن مستقبله كما يبحث عن عمل يرتزق منه وعن زوج يسكن اليها . ولذلك فهذا الشباب قد تكتنفه مشاكل وعقبات اجتماعية يسعى الشباب ان يتغلب عليها وقد ينساق الى مشاكل سياسية وأمنية اذا اخفق فى تحقيق اماله وأحلامه.

واما **حياتيا** فالشباب عهد نشاط وحيوية واستعداد للتجديد الفكرى والبناء المادى والادبى والقيام بالاسفار والمغامرات فى الحياة . والحيوية هذه قد لا ترتبط بالعمر الزمنى فهناك شباب فى العمر الزمنى ولكنهم شيوخ فى الحيوية كما قد نلاقى شيوخا فى العمر ولكنهم شبان فى الحيوية .

وباختصار اذا شبهنا حياة الانسان بالزهرة فعهد الشباب هو عهد تفتح البرعم الذى يحمل كل حسن الحياة وبهجتها .



**أما كلمة «مؤمن»** فنقصد بها كل شباب وعى وادراك بأن لهذا الكون الـه هو مبدع الكون ومسيره وفق نواميس فلكية ورياضية وطبيعية واجتماعية وخلقية وروحية هو الله رب العالمين . وعليه فان دور الانسان فى الخليقة هو دور اكتشاف نواميس الخليقة والخضوع لارادة الله تعالى بعبادته وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه وبذلك يصبح الانسان المؤمن خليفة فى الارض . هذا وان حياة الشباب المؤمن تختلف جوهريا عن حياة الشباب الملحد أو الحائر أو الساخر المستهتر . فالمؤمن يعيش فى جو من الهداية والطمأنينة والسعادة فى حين يكون غير المؤمنين يائسين يشكون العزلة والضياع يسيرون كالعميان فى متاهات الحياة أو أنهم ساهون لاهون يتقلبون مع الظروف كريشة فى مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق .

أما **طبيعة** عصرنا فانه عصر يمتاز بالقوة الهائلة التى اوجدها العلم المضبوط وما نتج عنه من تقنيات . وهذه القوة هى مصدر خير وبركة على الانسان

حيــن تستخــدم فى انتــاج الغــذاء والكساء والدواء كما انها مصــدر نفــع عميم حين تحقق وتسهل الترابط بين البشر بالمواصلات البرية والبحـريـة والجوية والاتصالات السلكية واللاسلكية والاجرام الاصطناعية . كمـا أنهـا أداة ترابط وتلاحم بين البشر حين تنشر روح الاخاء والتعاون بين الشعوب وتغذيهم بالحقائق العلمية والفنون الرفيعة والعقائد المحررة ٠ ولكن قوة العلم والتقنيات الهائلة قد تصبح وبالا على الانسانية حين تستخدم لصنع الصواريخ عابرة القارات والاسلحة الكمياوية والبيولوجية التى تعرض البشـرية كلهـا للدمار والفناء ٠ ثم انها قد تصبح مصدر شقاء وظلم حين تستخدم للسيطرة على الشعوب الضعيفة ونهب ثرواتها وسلب اوطانها وحرمـانها مـن حقـوقها الانسانية المشروعة كما هو الحال فى استخدام اسرائيل الاسلحـة الفتاكـة فى ابادة شعب فلسطين ٠ فالسؤال الاساسى الذى تجابهه الانسانية فى عصرنا هذا هو : هل ان العلم والتقنيات وجدا لخدمة الانسان ورفع مستواه المادى والمعنوى ام أنهما وجدا لاستعباد الانسان أخاه الانسان والعودة الى شـريعة الغاب وتعريض مصير البشرية الى الفناء ؟

الجواب عن هذا السؤال يتوقف على الاخلاقيات والعقائديات التى تســود المجتمع البشرى فى عصرنا هذا ٠

فهناك عقائدية غربية تؤمن بالحرية الفردية وبالدمقراطية ولكنها تقصر فى كبح الانسان كفرد وكجماعة من أنانيته المفرطة وممارسته السيطرة والاستيلاء على حقوق الغير ٠

ثم ان هذه العقائديات قد تسمح بالانحلال الاخلاقى والفوضى الاجتمـاعية والاقتصادية باسم الحرية هذا هو حال المعسكر الغربى تقريبا ٠

اما اسرائيل ربيبة المعسكر الغربى فانها تحمل كل ما منى به الغرب من شرور يضاف اليها الادعاء بالتفوق العنصرى والحق الالهى والعمل بمبــدأ «الغاية تبرر الواسطة» و «القوة فوق الحق والقانون» و «اقرار الامر الواقــع بالقوة» ٠ وكلها مبادىء تؤدى بالبشرية الى العداء والصراع وسفك الدماء ٠

وهناك عقائدية شرقية (شيوعية) تدعو الى العدالة الاجتماعية وازالة الفروق بين الطبقات ولكنها تنكر الايمان بالخالق وتنفى حرية الافراد اذ تستعبدهـم وتعاملهم وكأنهم آلات صماء فى ماكنة الدولة خاضعين لنظام سلطوى مركزى وبرقراطية مفرطة .

فالعالم اليوم يعانى من سيطرة هاتين العقائديتين الغربية والشرقية ومن صلف اسرائيل وتعصب حكامها الاعمى ٠ ومن الطريف ان كلا المعسكرين يتغنى بترانيم السلام العالمى وحريات الشعوب وحقوق الانسان !

ان مشكلة الانسانية اليوم نتجت عن ان التقدم العلمى والتقنى لم يواكبه تقدم فى الحقل الاخلاقى ـ الروحى فوجدت ازدواجية وفجوة بين العلوم والتقنيات من جهة وبين الاخلاق والحياة الروحية من الجهة الاخرى ٠

فما تحتاج اليه البشرية اليوم هو عقائدية توحيدية تجمع وتوحد الايمان والفضائل والعلم والتقنيات ٠ وهذه العقائدية تتمثل فى الدين الاسلامى فيما اذا فهمنا الاسلام فهما صحيحا ودرسناه درسا عميقا باعتباره دين حياة ودين تقدم وتطور لا دين جمود وتعصب وتحجر . فالدين الاسلامى يحتوى على كل ما عند الشرق والغرب من خير وحق في كل حقول الحياة ويسمو عليهما بشموله وتوحيده واخضاع الكل لارادة الهية عليا وقيادة روحية اخلاقية جاء بها القرآن الكريم .

ولما كان عهد الشباب هو عهد تجديد البناء الروحى والاخلاقى والفكرى والاجتماعى والاقتصادى للامة فمن المهم جدا ان يضع الشباب المؤمن نصب عينيه رسالة يؤمن بها ويعمل على تحقيقها بتكريس حياته وجهاده فى سبيل اخراجها الى حيز الوجود ٠ وها نحن فيما يلى نقترح عشرة عناصر تتكون منها هذه الرسالة ثم نتبع ذلك بافتراضات عملية حول اسلوب تحقيق هذه الرسالة.

١ ـ **الايمان بالله** : ان الايمان بالله الواحد الاحد خالق الكون ومسيره الرب الرحيم العليم القدير وعبادته واتباع أوامره وتجنب نواهيه والرجوع اليه هو الاساس فى نظرنا لعلاج اعراض البشرية كافة وللسير بها فى طرق الخير والحق والسلام ٠

اذن فأول ما يعنى به الشباب المؤمن لخير بنى قومه ولخير الانسانية كافة هو الايمان بالله . فالبشرية الضالة والبشرية الحائرة والبشرية المعذبة والبشرية المتفرعنة تحسن صنعا لو عادت الى الله وطلبت الهداية والغفران منه تعالى ، وطلب الهداية وطلب الغفران هما ثمرتان من ثمار الايمان وما احوج البشرية اليوم الى الهداية الالهية لتحقيق الاطمئنان والتآخى والامان بين الافراد والشعوب !

2 ـ **التحرير** : بدافع من الايمان بالله وبهدى منه تعالى الشباب المؤمن مدعو للعمل على تحرير النفس وتحرير الشعوب من شرور انفسنا وشرور أعدائنا ٠ فالايمان بالله يحرر النفس من عبادة المادة ومن عبادة الفراعنة من البشر ٠ ثم انه يحررنا من الكذب والنفاق والانانية وخلف المواعيد والغش فى المعاملات ٠ ثم انه يحررنا من الخوف والعوز «فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» ٠

أما التحرر من سيطرة الاعداء وشرورهم فهذا أمر يتطلب الاتحاد والاستعداد والجهاد ، فبفضل وحدة الصف والاستعداد للجهاد استطاع المجاهدون الاحرار فى معظم الاقطار الاسلامية من مقارعة العدو الاجنبى وتحرير البلاد منه سياسيا ( على الأقل ) . وما زال العالم الاسلامى مقصرا ( أيما تقصير ) فى حق فلسطين وفيها المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ... »

ففلسطين تنتظر التحرير تليها اريتريا المجاهدة ثم العديد من المناطق التى يعيش فيها المسلمون محرومين من نعمة الحرية وحق تقرير المصير فرسالة الشباب المؤمن تضع التحرير فى مقدمة الاهداف بعد الايمان بالله . فالتحرير ينبغى ان يفهم بأنه اعتراف الانسان بكرامة اخيه الانسان بلا سيطرة ولا استعمار ٠

والى جانب التحرر السياسى نحن فى حاجة الى تحرير اقتصادى وثقافى واخلاقى واجتماعى ٠

نحن نعانى من الاستعمار الاقتصادى اذ نستورد من الخارج الكثير من حاجاتنا الحياتية فنحن لا ننتج ما يكفينا من الغذاء والكساء والدواء ٠ نحن لم نضع لامتنا فلسفة ثقافية وتربوية واجتماعية متفق عليها بعد ٠ بل نقلد الغرب فى الكثير من نظمنا تقليدا سطحيا يحتوى على الغث والسمين ٠ فالمأمول من الشباب المسلم ان يبدأ بتحرير ذاته أولا ثم تحرير أمته فالانسانية جمعاء ! وعملية التحرير هذه عملية استمرارية لا تنتهى بنهاية الجيل ٠

3 ـ **التوحيد والاتحاد** : اناجزاء الكون كلها منأصغرها حجما الىاكبرهاومن اقربها بعدا الى أبعدها كلها متفاعلة مترابطة ٠ وابرز مثال على ذلك العلاقة بين

الشمس والارض . فلو حرارة الشمس وأشعتها ما وجدت على الكرة الارضية حياة . فكل ما فى الوجود مترابط متشابك . والكل يشكل وحدة خاضعة للنواميس الالهية . وفى الكون (الوجود) قوة جذب وحب كما ان فيه قوة دفع ونبذ . وفى قوة الجذب والحب حياة وازدهار وفى قوة الدفع والنبذ انحلال واندثار البشرية كلها يمكن ان تترابط فى وحدة كبرى فيما لو استخدمت المنطق والعقل والضمير الذى وهبه الله لكل انسان .

والامة الاسلامية يمكن ان تحقق قوة عالمية عظمى فيما تمسكت وعملت بتعاليم قرآنها . والامة العربية يمكن ان تصبح أداة هداية وخير للانسانية جمعاء فيما لو اتحدت ووحدت ثروتها وثقافتها وسياستها .

والانسان الفرد يكون أقوى وأسعد فيما اذا تربى تربية تكاملية توحد بين حياته الصحية والاجتماعية والفكرية والخلقية والروحية .

اذن فالشباب المؤمن مدعو لان يعمل جاهدا فى سبيل التوحيد والترابط فى الحياة وفى الوجود . ان الازدواجية والانشطار فى الفكر وفى المجتمع يجب ان تعوض بالتوحيد والتكامل . فالتوحيد والتكامل ضرورى بين : القول والفعل ، الفكر والعاطفة ، الدين والدولة ، العلم والايمان ، الرجل والمرأة ، الصغير والكبير ، الابيض والاسود ، الغنى والفقير الخ ...



فالشاب المؤمن يحل التناقضات التى أوجدها الفكر التحليلى ويتجه الى الجمع والتركيب والتوحيد . وربما كان من أهم ما يحتاج اليه مجتمعنا الحديث تحقيق التوحيد والربط الايجابى بين القمة والقاعدة فى كل بلد اسلامى : ايجاد الصلة الحميمة بين الحكام وشعوبهم وغرس الثقة فى نفوس الشعوب والطمأنينة فى نفوس الحكام . وذلك بتوفير فرص الاتصال الكافى والتفاهم والتعاون بين القمة والقاعدة وهذه هى «الشورى» فى الاسلام ! وبهذه المناسبة اذكركم بقوله تعالى : «ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» .

وقوله : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... » .

ولنتذكر وصية الوالد الحكيم لاولاده :

**كونوا جميعا يا بنى اذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا**

**تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا ... واذا افترقن تكسرت افرادا**

4 ـ **التطور والتجديد** : من المعلوم ان التطور والتجديد هما من طبيعة الوجود ومن ضرورات البقاء ٠ فالحى يتحرك وينشىء ويغير والميت جامد لا حراك له ٠ والمفروض فى الشباب ان يكون عامل تجديد وبناء فى المجتمع الذى يعيش فيه فالشباب يمثل القوة المتدفقة فى حياة الانسان يوجهها للخير والبناء ان كان مؤمنا ويعبث بها ان كان فاسقا . والشباب المؤمن يميز بين نوعين من التطور أحدهما يؤدى الى الامن والافضل فى الحياة فيزيد فى قوة المجتمع والآخر تطور الا الاردإ والاحط فيضعف المجتمع ويعمل على تفسخه وانحلاله ٠ فالشباب المؤمن يعمل جاهدا للنوع الاول من التطور ويقاوم النوع الثانى على قدر الاستطاعة ٠

فالتطور فى تحسين وسائل الانتاج ونوعية الانتاج وفى إحلال النظام والنظافة فى المنزل وفى البيئة واحترام القانون هو تطور من الطراز الصحيح اما التطور الناتج عن تقليد مجتمع الاستهلاك وتقليد الغرب فى ما منى به من عناصر الضعف والانحلال الاخلاقى والتراخى فى أداء الواجبات فهو ما نرجو ان ينبذه الشباب المؤمن ٠

ان معظم المجتمعات الاسلامية تعيش فى عصر «ما قبل العلم» والعالم المتقدم يعيش فى عصرنا الادمغة الالكترونية والاقمار الاصطناعية والصواريخ عابرة القارات ذلك الى جانب ما حققه العالم المتقدم فى حقل الطب والزراعة والمواصلات من معجزات ! ولذلك فيترتب على الشباب المؤمن ان يبذل قصارى الجهد فى الحصول على العلوم المضبوطة والتقنيات واللحاق بالركب !

وبقدر ما نؤكد على اهمية الاقتباس العلمى والتقنى نؤكد على ضرورة الحذر من اقتباس اتجاهات الانحلال الاخلاقى والاجتماعى التى اخذت تتفشى فى الغرب باسم الحرية كتفشى الفوضى الجنسية والاباحية وانتشار امراض جنسية جديدة فى الغرب .

وباسم الحرية والمساواة شرع أخيرا أول قانون فى كاليفورنيا يعترف بحق الرجل أن يتزوج رجلا آخر فتتكون منهما عائلة معترف بها قانونا ٠ نحن لا نحتاج الى اقتباس هذا النوع من التطور والتجديد ٠ نحن نحرص على الاحتفاظ بالعائلة الاسلامية المعتزة بشرفها واصالتها ٠

فالشباب المؤمن مدعو لان يميز بين الجديد المنعش المقوى للامة وبين الجديد الضار المخزى ! ٠

5 ـ **القـوة** : الاسلام دين سلام وليس دين استسلام والسلام لا يصان الا بتوفر القوة والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ٠ ولذلك فالمفـروض فى الشباب المؤمن ان يكون قويا وذلك بأن ينشأ على مبـادىء «الفتـوة» ويألـف خشونة العيش ٠ فلا ميوعة ولا تخنث ٠ ثم ان ينمى جسمه وعقلـه وخلقـه وايمانه الى اعلى مستوى من التنمية ولا سيما فى الساحة العملية فى الحياة ٠ فالحياة الحديثة فى المعامل الكبيرة والآليات المعقـدة تتطلب تـربية الجسـم والحواس وضمان الصحة بدرجة دقيقة . وذلك يتطلب الاقلاع عن التدخين . أما الكحول فضررها معترف به فى البلاد المتقدمة صناعيا بلا جدل . ولما كانت الامة القوية تتكون من افراد أقوياء فالمفروض فى الشباب المـؤمن ان يعمـل على تكوين نفسه تكوينا قويا فى العلم والجسم وان يكون ولاؤه لامته ولدينه كاملا عميقا بحيث يكون مستعدا للتضحية بالنفس والنفيس من اجل الدفاع عن الامة والوطن ٠

هذا وان قوة الامة وبقاءها يتوقفان على توفر الشروط التالية :

(أ) وحدة الامة وانسجامها ٠
(ب) حملها لرسالة الحق والخير .
(ج) تقدمها العلمى والتقنى ٠
(د) الرفاه الاقتصادى (العدل الاجتماعى) ٠
(هـ) استعداد عسكرى كاف ٠
(و) تأمين علاقات دولية متينة وسليمة ٠
(ز) زعامة حكيمة وقيادة رشيدة ٠

فالشباب المؤمن الذى يحمل الولاء الصادق لامته يعمل اولا على بناء ذاتـه بناء قويا ثم المساهمة الفعالة فى تأمين قوة وصلابة أمته ٠

6 ـ **العلم والحكمة** : الشباب المؤمن يبحث دوما عن الحقيقة ويستزيد من المعرفة طوال حياته بلا هوادة وبلا توقف ٠ والمعرفة لا تقتصر على الكتب وحدها بل ومن تجارب الحياة ومن الاسفار والاتصال بالعارفين ومراقبة الاحداث ٠ فالعالم كله (طبيعة ومجتمعا سماء وارضا) كتاب مفتوح يجدد بكل عناوينه والتأمل فى محتوياته ٠

هذا وان المعرفة وحدها لا تكفى بل لابد وان تقترن **بالحكمة** ٠ والحكمة التى هى ضالة المؤمن تعنى رؤية العلاقات والعواقب والتبصر فى الامـور وحسـن

التصرف . اذن فنحن نحتاج الى معرفة تقترن بالفعل الحكيم ولا خير فى معرفة لا تنتج فعلا على ان يكون الفعل مقترنا بالحكمة .

الجهل والامية مازالا يخيمان على العالم الاسلامى والفرد المسلم لم يحصل على مستوى كاف من التعليم ما عدا النفر القليل . ونوع التعليم الذى يسود معاهدنا هو تعريف بالافكار والنظريات على الاكثر . فهو تعليم لا يفسح المجال الكافى للتفكير كما أنه لا يفسح المجال الكافى للتحقيق ثم التطبيق فنحن نصدق كل ما يقال لنا فى الكتب وفى الاذاعات ووسائل الاعلام بلا تحقيق وبلا تدبر . ولذلك فمن السهل جدا اللعب على عقولنا وعواطفنا . فنحن قد نصدق ما يقال عنا وما يحاك حولنا كما يريده لنا الاعداء فى الخارج أو عملاؤهم فى الداخل . وهذا فعلا ما تقوم به الصهيونية العالمية عن طريق اجهزتها الاعلامية والجاسوسية فى العواصم الغربية وبعض العواصم العربية . اذن فطلب العلم مع ممارسة **التفكير والتحقيق والتطبيق** هو ما ندعو اليه وهو ما نرجو أن يعمل به الشباب المؤمن .

7 ـ **حب الخدمة والعمل الصالح :** الحياة كلها حركة وفاعلية . جسم الانسان الحى لا يتوقف عن الفاعلية حتى فى النوم . ومن الافعال التى يقوم بها الفرد فى حياته ما هو مفيد ومثمر ومنها ما هو عبث وضار . والشاب المؤمن يختار بالطبع العمل المفيد المثمر ويتجنب الضار .



والعمل المفيد المثمر هو الذى يعود على الفرد ذاته أو على اسرته أو مجتمعه بالفائدة والقوة . فالعمل لكسب العيش بالطرق الشريفة يأتى فى مقدمة الاعمال المفيدة . فالمفروض ان يمارس كل شاب مؤمن عملا يدر عليه ما يؤمن معاشه ومعاش من يعيل .

ومن الاعمال المفيدة (بعد تأمين المعاش) التطوع فى خدمات اجتماعية فى نواد وجمعيات خيرية وثقافية وفنية ورياضية ودينية . فجمعية الهلال الاحمر وجمعية رعاية الايتام أو العجزة مثلا نماذج لما يمكن ان يتطوع فيه الشباب المسلم . ومن الاعمال المفيدة ( بعد تأمين المعاش ) التجول فى الغابات وتسلق الجبال والصيد وركوب السفن فى البحار أى درس البيئة الطبيعية ثم القيام برحلات واسفار داخل البلاد وخارجها . ومن الضرورى جدا أن يتطوع الشباب المؤمن فيتشرف «بخدمة العلم» ويستعد للدفاع عن وطنه . كما يمكنه ان يتطوع فيشارك بخدمة «العمل» (الخدمة المدنية) فيشعر بأنه يساهم مساهمة فعالة فى بناء وطنه الحبيب .

من أهم مشاكل الشباب المعاصر مشكل ملء أوقات الفراغ بالاعمال النافعة فنحن نتساءل ماذا يعمل الشباب المدرسي والشباب الجامعي في العطل الصيفية وكيف يقضون ايام عطلهم ؟ اليس من المفيد لهم وللمجتمع ان يقضي الاكثرية اوقاتهم في الحقول وفي المعامل وفي المتاجر ليتعرفوا على الحياة الانتاجية ويكتسبوا بعض الخبرات المفيدة ؟ هذه ملاحظات تستحق في نظرنا ان يعمل بها الشباب المؤمن .

8 ـ **العدل الاجتماعي :** ان المؤمن الذي يتمتع بنعم الله التي لا تحصى يدرك جيدا ان كل ما على الارض من خيرات وكل ما يستثمر هذه الخيرات من جهد وعبقريات انما هو من الله وينبغي ان تفيد عباد الله ! فالغني الذي يكد ويجهد ليجمع ثروته بالطرق الحلال انما هو متمتع بفضل الله وما يملكه هو مال الله وينبغي ان يصرف في سبيل الله . وللفقير والمحتاج (السائل والمحروم) حق معلوم في ثروات الاغنياء الموسرين . انه حق يجب ان يسلم الى اصحابه المحتاجين بالحسنى بلا منة ولا ترفع . هذا وان القرآن الكريم تكثر فيه الآيات التي تحض على الانفاق في سبيل الله ذلك زيادة على فريضة الزكاة أو التبرع في الصدقات . قال تعالى : «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» . المجتمع الاسلامي هو مجتمع بذل وعطاء . ولو عمل المسلمون بتعاليم دينهم لما بقي في العالم الاسلامي جائع أو سائل او متخلف !



فيترتب على الشباب المؤمن والحالة هذه ان يمارسوا مبدأ العدل الاجتماعي (مبدأ المشاركة في الثروة) وأن يعملوا على نشره بين الناس .

9 ـ **التفتح على العالم :** ان وسائل النقل والمواصلات الحديثة بما في ذلك الاذاعات العالمية والاقمار الاصطناعية ربطت اجزاء العالم بعضها البعض وجعلت شعوب العالم يتأثر بعضها من بعض ويؤثر بعضها في بعض . ففي دقائق معدودة تسمع في الشرق عما يحدث في الغرب والعكس بالعكس . ولذلك تصبح مسألة التفتح على العالم والتعرف على الغير من أولى مهام الشباب المؤمن . وهي فرصة لتوحيد البشرية وتوجيهها نحو الحق والخير لم يسبق لها مثيل في التاريخ . ولما كنا نريد عالما يسوده الحق والعدل وتطبق فيه مبادىء حقوق الانسان في كل مكان فعلينا ان نتحمل قسطنا من المسؤولية عن العمل في هذا السبيل .

كما ان من مصلحتنا ان نتعرف على ما ينتجه الغير من انتاج فكري أو تقني فنستفيد منه . كما ان من مصلحتنا ان نعرف العالم بما عندنا من عقيدة

وتراث وإبداع . كل ذلك يتطلب قدرا وافيا من التفتح الذهنى والتسامح وحسن التعامل على اساس عالمى انسانى وهو ما يدعو اليه الاسلام • وهو ما نرجو ان يتعهده الشباب المؤمن •

10 ـ **الامر بالمعروف والنهى عن المنكر** : الاخلاق والفضائل هى عنوان حياة الامة وسر بقائها • وهى تنمو وتزدهر بالممارسة وبالمراقبة المستمرة عن طريق الارشاد والنصح • فواجب كل شاب مؤمن ان يتخلق بالاخلاق الاسلامية السامية كما ان من واجبه ان ينصح اخاه المؤمن بالاقلاع عن اى سلوك غير لائق • ولما كان «المؤمنون اخوة» وجب على كل اخ ان يرعى مصلحة أخيه فيرشده الى ما فيه الخير ويردعه عما فيه الشر • والدعوة تكون «بالحكمة والموعظة الحسنة» • هذا وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أقوى عامل تربوى اخلاقى نعرفه • فلكل منا معلم وكل منا متعلم لنفسه وأخيه ولذلك فواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (بالحكمة والموعظة الحسنة) وتتوج فى نظرنا رسالة الشباب المؤمن فى عصرنا هذا بـ :

**(1) الايمان بالله (2) التحرير (3) التوحيد (4) التطور والتجديد (5) القوة (6) العلم والحكمة (7) حب الخدمة والعمل الصالح (8) العدل الاجتماعى (9) التفتح على العالم (10) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر •**



**هذه هى** الملامح التى نريدها للمجتمع الاسلامى الجديد وهى **ما** نرجو **ان** تشكل رسالة الشباب المؤمن فى عصرنا هذا وحرصا منا على نجاح الشباب المؤمن فى حمل هذه الرسالة وتطبيقها نتوجه اليهم بالخبرات التالية :

(أ) ان تجديد المجتمع لا يحدث بعصا سحرية . انه يتطلب صبرا وطول أناة • كما يتطلب درسا للواقع والامكانات واعداد الخطط • ان سياسة المراحل التى درجت عليها تونس قد تقدم خير درس للشباب فى محاولتهم تطوير المجتمع • والتاريخ يعلمنا بأن معظم الذين استعجلوا فى الاصلاح اخفقوا فى نيل المرام .

(ب) ان اسلوب التوعية والنصح ينبغى ان يصبح اسلوب الشباب المؤمن فى العمل • فاللطف يجب ان يحل محل العنف والحوار محل الشجار والنظام محل الفوضى • ولنتذكر قوله تعالى :

«ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن •••» (النحل 25) •

«٠٠٠ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ٠٠٠» (الانفال 46) ٠

«محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ٠٠٠» (الفتح 29)

(ج) لا محل للسلبية والتشاؤم فى حياة الشباب المؤمن فالشباب المؤمن متفائل دوما لانه «متوكل على الله» ٠ انه ايجابى فى حياته ونظرته الى الوجود تفتح على العالم متواضع ينشد النمو والاستفادة من خبرات الحياة مردد لقوله تعالى «وقل رب زدنى علما٠٠٠» «وفوق كل ذى علم عليم» ٠

(د) الشباب المؤمن يشجب القطيعة بين الاجيال ويأبى الغرور والادعاء فلا جحود فى رسالة الشباب المؤمن بل انه يعترف بفضل السلف فى انقاذ البلاد من ربقة الاستعمار ولم يكن ذلك بالامر الهين بل كان ثمرة جهاد وتضحيات واستشهاد العديد من الابطال ٠ لذلك يصبح درس التاريخ المعاصر خير حافز للشباب المؤمن على تقدير جهاد وجهود المؤسسين وعلى رأسهم فخامة المجاهد الاكبر والسير على منهاجهم وتتبع خطاهم ٠ اذ لا بد فى المجتمع الفاضل من الربط والاتصال بين الشيوخ والشباب والاستفادة المتكاملة فى الجمع بين همة الشباب وحكمة الشيوخ ٠



واختم حديثى بالآية الكريمة :

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون» (المائدة 35) ٠

والسلام عليكم ورحمة الله ٠

**الدكتور محمد فاضل الجمالى**

**نشـر فـى العـدد القـادم**

الجزء الثالث من دراسة د. محمد صالح الجابرى

**الطلبـة الجـزائـريـون بتـونس**

# عبــــاس

**شعر : الحبيب الهمامي**

**① جثـة عبـاس :**

(1)

مَلِكُ الفَقْـرِ
نَبِيُّ الفُقَـرَاءْ
مُسْتَشارُ الغُـرَبَـاءْ
فِي زَمَانٍ يرْسُمُ القُبحَ على شَكْلِ مُـلوك
يَـحْكـمُـونَ الـدُّوَلَ الصُغْـرَى
وَيُـهْـدُونَ الضَّحـايا
والسَّبَـايَـا
لِمُلُوك الـدُّوَل الكُبْـرَى
فَمَا أحْلَى الهَـدَايَـا !

(2)

وَطَـنُ الجـرح
قَريبٌ دائـما مِنْ عتَبَـاتِ الإنْطفاء
لَـمْ يعُـانِـقْ زَمَـنًا مَـا
لَمْ يُعَانِـقْ وَطنـا مَا
عَانَقَ المَوْتَ الـذى
لا يَنْتَمِـي للمَوْتِ لكنْ
يَنْتَمِي للانْتِهَـاءِ المُتَفَشِي
فِي حَيَاةِ البُـؤسَاءْ

(3)

كـان عَبّاس نَحيفًـا
كبِلاَدٍ
ضَيَّعُوا آمالَهَا فِي مَجْلِسِ الأمن
قَصِيـرًا
كيَـدِ الحَـقِ المُسجَّـى
فِي مَلَفَّاتِ المَحَاكِمْ
دَمُـهُ الشَّـايُ
وَمِنْ سيجَارَةٍ يُشْعِلُ أخرَى
كانَ لا يَجْلِسُ فِي مَقْهَى
وَلا يَأْكُلُ أكلاَتِ المَطَاعِمْ
كـانَ بَنّاءً
غَلِيظا لُغَـوِيّـا
لَيّـنَ القَلْبِ عَطـوفًـا
جَدْوَلا للعَـرَقِ المالحِ في كلِّ المَـوَاسِـمْ

كانَ عبّاسُ يُضحي
بحُطامِ العُمْرِ مِنْ أجْلِ دَرَاهِمْ

(4)

— أنتَ ياعبّاسُ مِنْ أينَ أتيتَ ؟
— قالَ : مِنْ حيْثُ انتهيْتُ
آه ! يا عبّاسُ يا حُبّي النهائي
لَمْ أكنْ أعرفُ أنّ الحبَّ
قبْرُ الفُقَراءِ

(5)

الصبايا
في الزوايا
يتَرشّفنَ النكاحْ
معَ أصْحابكَ ياعالي الجراحْ
قُمْ وعانقْ
قُمْ وضاجعْ
بِدنانيرَ تُفارقْ
لَحظةَ حُمّى المواجعْ

(6)

أيّها المقتولُ
خُذْ جُثّتكَ الأولى
وبِعْها برَغيفْ
ثمّ واصلْ سيرَكَ المشلولَ حتى
تبْلُغَ الموتَ الذي
يأكلُ أمثالكَ
عانقْ
ما يُلاقيكَ جِراحا أو نزيف
قطةً ينكحُها قط مُخيفْ
رجُلاً يبكي على عقلٍ تلاشى
في الهوى ذاتَ خريفْ
أو تعلّقْ بِرداءِ امرأةٍ تكبرُها
في الفقْرِ
كي لاتنتهي منفردا
في كوخكَ الخائفِ مِنْ قعْقعةِ
الرعْدِ
وبَطْشِ العاصفهْ
لا تمُتْ وحدكَ عانقْ أي شيْءْ
أيّها المقتولُ يوميا
بِفحْشاءِ الحياةِ الزائفهْ

(7)

قامَ عبّاسُ إلى جُثّته الأولى
وأهداها لاطماعِ القُضاهْ
واختفى في امرأةٍ يكبرُها في
الفقرِ .
فأعطتْهُ بَصيصًا مِنْ حياهْ

(8)

أنجبتْ زوجتهُ طفْلاً
وصبيهْ

ثُمَّ أخْرَى
ثُمَّ آخَرَ
فَإذَا العُمْرُ شَظِيهْ
وجُرُوحٌ وَخَنَاجِرْ
مَنْ تُرَى يُنْهِي القَضِيَّهْ
غَيْرَ مَوْت وَمَكانٍ في المَقَابِرِ

(9)

مَاتَ عَبَّاسُ المُكافِحْ
مَاتَ مَجْرُوحاً بِسَيْفِ الفَقْرِ
وَالقَهْرِ
وَأَمْثالُهُ آلافٌ
وآلافٌ على أرْضِ المَذابِحْ
لَنْ أقولَ الآنَ عَنْ قَاتِلِهِ
الأصْلِي
فإنَّ الحَقَّ جَارِحْ
رَحِمَ اللهُ المُكافِحْ

② **اربع جثث :**

(1)

عَلَى جُثَّتِي تَتَمَتَّعُ
شُرْطَة مُسْكُو بِقَتْلِ الضَّجَرْ
عَلَى جُثَّتِي العَرَبِيَّة
بُولِيسُ وَاشُنْطُنَ الهَمَجِيُّ
يُمَثِّلُ دَوْرَ رُعَاةِ البَقَرْ
فَهَلْ جُثَّتِي وَطَنٌ
لِيَلْهُو بِهَا جَبَرُوتُ البَشَرْ ؟

(2)

أفَتِّشُ عَنْ جُثَّتِي الثَّانِيهْ
وَبُولِيسُ رُومَا يَقُولُ :
لَقَدْ سَرَقُوا الجُثَّةَ الخَاوِيَهْ
فَهَلْ جُثَّتِي وَطَنٌ ؟
لِتَسْرِقَهَا الدُّوَلُ النَّامِيَهْ !

(3)

أفَتِّشُ عَنْ جُثَّتِي الثَّالِثَهْ
وَشُرْطَةُ لَنْدَنَ تَسْأَلُ :
هَلْ حَرْقُ جُثَّتِكَ العَرَبِيَّةِ !
يَا سَيِّدِي كَارِثَهْ ؟
وَأَسْأَلُ :
هَلْ جُثَّتِي وَطَنٌ ؟
لِتَحْرِقَهَا الدُّوَلُ العَابِثَهْ !

(4)

أفَتِّشُ عَنْ جُثَّتِي الرَّابِعَهْ
وَبُولِيسُ بَارِيسَ
لا يَتَحَمَّسُ للجُثَثِ الضَّائِعَهْ
إذَنْ فَأَنَا وَطَنٌ
تُمَزِّقُنِي الدُّوَلُ اللامِعَهْ

(5)

قابلني القاتلُ أهداني
رصاصاتٍ وعنقودَ جُثثْ
واختفى في دولةٍ عُظمى
لماذا يضحكُ القاضي ؟
لماذا تُنجبُ المرأةُ في
المحكمةِ الفوضى ؟
لماذا يا ترى ؟
هذا عبثْ !
ذهبَ القاتلُ للجائزةِ الكبرى
وعادَ البحرُ للبحرِ
وعاد البرُّ للبرِّ
فلا شيءَ حدثْ

(6)

قتلوني
نشرةُ الأخبارِ قالتْ :
انتحرْ !
قتلوني
صُحفُ العالمْ قالتْ :
كانَ في حالةِ سُكرٍ واضحٍ
فاصطدمتْ سيارتُهُ (البيّامْ)
بسُورٍ منْ حجرْ
قتلوني وانتهى الموضوعُ
لابأسَ فإنّي عربيٌّ

تشتهيني كلَّ أطماعِ البشرْ

(7)

ستجيءُ السِّلمْ
قالتْ لي الحمامهْ ..
ستجيءُ السِّلمُ
منْ غيرِ علامهْ !
فأماريكا كما تعرفُ تُدعى
دائما : «نبعَ السلامهْ !»
فاصبِروا يا عربَ الأرض
ولا تستعجِلوا
في السُّرعةِ القصوى الندامهْ

(8)

ربّما كنتُ سخيفاً في التحدّي
ربّما كنتُ غبيّاً في التصدّي
سامحوني يا أحبّائي
إذا أزعجتُكمْ ما كانَ قصدي
سامحوني يا أحبّائي
إذا كانَ كلامي أخسرَ السهرةَ
في ليلةِ ميلادِ المسيحْ
سامحوني سادتي
واعتبِروا ما قلتُ ريحْ
هبَّ في هذا المساءْ
واصلوا سهرتكمْ يا أصدقاءْ

**الحبيب الهمامي**

# مِنْ وحْيِ «السّاعة»

بقلم : مصطفى الفاربي

ان الوظيفة الادارية التى شغلتها طوال سنوات متتالية ـ وقد اشغلها لمدة طويلة اخرى ـ لم تمثل فى حياتى ـ ككاتب ومفكر ـ سوى قوسين وهى بالتالى لايمكن أن تضع حدا لمشاغلي الرئيسية أو توقف باية حال من الاحوال التيار الذى يدفعنى الى التعبير عن ذاتى • فالكتابة بالنسبة إلي حاجة وتكاد تكون هى الجوهر وليس ما دونها سوى العرض والعبور السريع او اذا شئت محطة !لانتقال من نقطة الى نقطة اخرى اى بين المبتدأ والمنتهى او المنطلق والمقصد •

وما دامت قواى المادية والروحية والفكرية تسمح لى بتخصيص بعض ساعات الليل للكتابة او لمجرد التفكير والتأمل والتخطيط لما قد أكتب فى العاجل او الآجل فانا لا ارى ما يمنعنى من ممارسة هواية التاليف • اقول هواية لانك تعلم ان الكاتب عندنا وفى كثير من البلدان المتخلفة لا يمكنه فى الظرف الراهن ان ينصرف الى الكتابة والتأليف انصرافا كليا فيتفرغ لذلك ويحترف مهنة الكاتب ويعيش من موارد حقوق التاليف . فنحن ابعد ما نكون من الاحتراف لكننا رغم ذلك نكتب وفى ظروف عصيبة فى كثير من الحالات •

وبالعودة الى موضوع الوظيف اقول : لا حق لاى كان ان يحدد للمرء بصفة قسرية وبالتالى اعتباطية ما يجدر بـه ان يفعـل او لا يفعـل • ومـا دامت المسؤوليات الادارية لا يلحقها اى ضرر من تعـاطى هوايـة يمـارس فى غيـر ساعات العمل فالقضية لا تستحق ان نطيل فيها الحديث •

وقد يتبادر الى الذهن ان ما اكتبه وانـا اتحمـل مسؤولية اداريـة او حتى سياسية وبالتالى ما أنشره من كتب أو مقالات من شأنه أن يلزم عملى ويصبغ

عليه بعضا أو كلا من مواقفي ونزعاتي وافكاري ذاك تساؤل له ما يبرره ولاشك • لكنى أجيب عنه بما لا يدع في نفس السائل مجالا للشك او اللبس• أنا اتحمل مسؤولية لكنى لا أمسك بين يدى بأى هدب من اهداب السلطة • القرار بيد من قلدنى مسؤولية ادارية ولا أعدو أن أكون سوى مجرد منفذ لسياسة يمسك بخيوطها المسؤول الاول عن الادارة التى تشغلنى • أو قل انى بمثابة المستشار الذى قد يلجأ الى مشورته من حين الى آخر فى ميدان يعرف عنه الكثير ومارس فيه اكثر من مسؤولية طوال سنوات عديدة وقد ألزم من يستشيرينى فعلا لكنى الزمه بما أعتقد أنه مؤمن به مسلم بنجاعته إذ أن أفكارى ما انفكت تدعو لنفس الاغراض وهى بالتالى فى ميدان الثقافة بالذات تندرج فى المشروع الثقافى الوطنى الذى نحلم جميعا فى تونس ببعثه وتحقيق رؤاه الاستقبالية رغم فوارق طفيفة لا تمس الجوهر الذى يبدو أننا جميعا متفقون عليه ومقرون العزم على بلورته وادخاله حيز الواقع فى الحياة اليومية •

فالخلط بين المسؤول بالوزارة وبين المنتج فى بعض الميادين الثقافية لا يمكن أن يحرجنى أو يحرج من أسند إلي المسؤولية ذاك أمر مفروغ منه بالنسبة الى على الاقل • فأنا أشعر بأنى أفيد فى كلتا الحالتين اذ اتقبل فى نفس السياق وبنفس التلقائية ونفس التحمس ما يدخل فى نطاق الحقيقة وما هو من مشمولات اليقين ما يتميز بالفردية وما هو فى اتجاه المجموعة •



وقد يختلف الامر وتصبح القضية المطروحة معضلا بحق لو كنت أشغل منصبا بوزارة الفلاحة أو وزارة المالية.لكنى اليوم أعمل فى نطاق الفكر والادب والفن ويتسم عملى بالشمول والحركية والتخطيط للمستقبل • لذلك لا أرى من حاجة الى وضع نقطة استفهام حول ما يتصل بهوايتى ككاتب وبهويتى كمسؤول • نظرتى للكون وللحرية فى الحالتين ما انفكت تعتمد مبادىء راسخة فى الذات تدفعنى الى الافضل والامنع والامتع وما من قوة فى الدنيا يمكن أن تقصينى عن التمسك بها والذود عنها • الانسان بالنسبة الى هو كبد الارض وقلب الكون النابض ابدا • فهو المبتدأ والمنتهى وكل عمل لا يتجه الى خدمته ولا يدفعه الى تبديل احواله من حسن الى أحسن هو فى نظرى اجرام لا مثيل له والحاد بالتطور وبسنن الكون جميعها . ويتعين الوقوف فى وجه المجرمين بالساعد والفكر والقلم واللسان معا • وذاك جوهر الثقافة ومسؤولياتها الدائمة عبر كل العصور • اذ الثقافة انسانية أو لا تكون وذاك بالذات ما خولها فى ماضى البشر ويخولها حاليا وسيخولها فى المستقبل وعلى الدوام حق

التدخل في مصير الناس لا بصورة هامشية أو عرضية أو ظرفية لكن بالفعل الفاعل المبني على الوعي ٠

لقد ناهضت وما زلت أناهض من يحصرون تطور البشرية في التكنولوجيا المعاصرة وينسون أو يتناسون تدرج الانسان في ماضيه الطويل نحو الاكتشافات العجيبة والاختراعات العبقرية وكلما قطع الانسان شوطا من الطريق خيل له أنه بلغ الغاية وحصل على المقصد ٠ ولولا الثقافة التي ما انفكت تعمر صدره لدفعه الغرور الى اكثر من هاوية، ولانتحر في النهاية انتحارا لا رجعة فيه . لكن الانسان استمر وفي استمراره سر عبقريته واعجاز خلقه ٠ ونعلم ان الدول دالت وان الحضارات اندثرت وان الكوارث التي مرت بها البشرية لم تكن سوى حافز لها للخلق والابتكار والبعث الجديد المتجدد ٠ فمن غير الانسان يستطيع أن يخلق من ضعفه قوة ؟ وما غير الثقافة يدلل على عظمة هذه المسيرة الدائبة نحو مواطن القوة ؟

ان تاريخ البشرية حافل بفترات التحرر وفترات الاستعباد وما من مجتمع بشري أمكنه أن يصمد أمام النائبات والماحقات دون الاعتبار بالتاريخ الذي هو في الواقع تسلسل زمني ومواقيت للناس يتعين التحكم فيها والسيطرة على أعنتها ٠ فالساعة التي تضبط هذه المواقيت بصرف النظر عن شكلها ـ وقد اتخذت عبر التاريخ أشكالا عديدة لا حصر لها ـ هي صنو النظام الاجتماعي الذي انشأ دولابها ودبر استعمالها لا لشيء سوى لتنظيم أحوال البشر على أساس يجعلها تتحكم في مصيرها من الدقيق الى الادق من مجرد تعداد السنوات والفصول والاشهر والايام الى تعداد الساعات والدقائق والثواني ٠ ومن أبسط الساعات الشمسية الى ساعة « الكواتز » التي تطوق معصم الكثير في أيامنا وتشير الى كسور الثواني من أيامهم ولياليهم مرت المجتمعات البشرية بأطوار من الزمن كانوا فيها عبيدا أو سادة لكنهم كانوا قبل كل شيء متفاعلين مع الزمان سواء منه زمان الآلهة أو زمان الاجرام أو زمان الآلة أو زمان الطاقة أو زمان الاصطلاحات الذي نحياه الآن مع التكنولوجيا القاهرة المسيطرة على كل شيء والتي كادت تحيل الانسان نفسه الى ساعة اصطناعية متنقلة على رجلين٠

نحن يا سيدي في أعجب عصور السرعة مما يفسر الكثير من أحوالنا تهافت بعضنا على الكسب العاجل أو اقبال بعضنا الآخر على العنف أو ادمان الكثيرين شتى مواد التخدير والتيه والغثيان ٠ فهل من منقذ للبشرية من هذه

الكوابيس ؟ وهل من مخرج له مما تردى فيه من انــواع الانحــلال والانحطاط والتهـــور ؟

لابد للانسان من وقفة تأمل يعدل خلالها ساعته ويحزم أمره ثم ينطلق من جديد وهو على بينة مما ينتظره فى غـده • هكذا يكـون السعى والا كان خبط عشواء فى حلكة الزمن المجهول • ونعلم أن من بيننا من سيعـدل ساعته عـلى توقيت موسكو أو على توقيت نيويورك ونعلم ايضا أن البعض منـا سيدفعـه التشاؤم الى القنوط المطلق فيترك الساعة لشأنها فاذا هو يعيش فى لا زمـان وبالتالى فى لامكان عملا بقولة من قال :

« فز بنفسك ان كنت ضيما وخل الدار لمن بناها » •

لكننا نعلم ان الواعين منا بقضاياهم وقضايا أمتهم وقضايـا البشـرية فى عصرنا سوف يعدلون ساعتهم حسب توقيتهم هم لانهم بشر أيضا ولان لهم فى الحياة مطمحا ومنزعا ومذهبا • يكفى أن يكون الوعى ليكون البقاء والاستمرار

المهم أن نعرف من نحن واين موضعنا فى الكيان فى الزمان فى غمر الناس لنتخذ الموقف الموقف من أنفسنا ومن غيرنا ولنصرح برأينا ونعبر عن ذواتنا فى طلاقة ودون خوف أو وجل لاننا ـ مبدئيا على الاقل ـ كغيرنا من البشـر لنا رأى فى الحياة وقول فى مصير البشرية •

ولسنا فى الواقع بين قطبين متنافرين أو بين « اما واما » كما يحلو لى أن أقول فالقضية اكثر تشعبا مما يتصور الكثيرون منا ويمكن تفريعها الى ثلاثـة مواقف تفرض الآن نفسها على البشرية وتمثل اختيارات لا مناص من التوقف عنـدهـا .

فاما محافظة محنطة جامدة على كل ما هو قديم مناهض للمعاصرة يرتجف من فرط الذعر اذا لامسته انسام الاصباح الجديدة وهو بالتالى محكوم عليه مسبقا بالركود الاقتصادى والثقافى والاجتماعى معا •

واما حداثة عمياء مغربة فى الثقة بكل مـا هو موعود ومـا يحملـه عصـر الطلاسم والخوارق والاصطلاحات والتكهنات من ضروب القيود المقبولة اليوم عن طيب خاطر والتى لن تلبث أن تلقى بالبشرية قاطبة فى هوة اليأس والوحدة الخانقة وظلمة العبث •

أما ما كان يسمى عندنا بالمنزلة بين المنزلتين زمان المعتزلين ويتمثل الموقف فى الاقبال على التكنولوجيا المعاصرة والكرع من جميع مناهلها والتسلح بكل وسائلها مع ضرورة المسك بزمامها مسكا يجعل الانسان هو سيدها والمتحكم فى نتائجها العاجلة والآجلة أى فى أثرها على حياة الناس حاضرا ومستقبلا .

الاختيار الثالث هو فى نظرنا عين الصواب لانه يفتح أمام الانسان أبواب الحضارة الجديدة التى نريد والتى تفسح له ارجاء التحرر والانعتاق بما فيها من سعة ومن رفاه . وبمعنى آخر يمكن أن يعلق الانسان همته بأمل ان ليس كل ما هو آت هو بالضرورة ممحق للبشرية مناهض للقيم متسبب حتما فى نهاية الدنيا وانتحار الانسان . فقد يكون الافق محملا بآيات من الابداعات والابتكارات واكتشافات هى بمثابة انعتاق جديد للبشرية لا سابق له فى تاريخها الطويل وعمرها المديد منذ ان قذف بآدم على وجه البسيطة .

ذلك اننا اذا كنا على بينة من الماضى الذى هو بطبيعته محتوم لانه عيش ومرت أطواره فعلا على البشرية بحلوه ومره ويمكن القول بانه من قبيل الضرورات فان المستقبل هو على نقيض الماضى من قبيل الممكنات . وقد يخرج الصالح من الطالح كما نقول وما بعد العسر الا اليسر كما نعلم . فلو لم يكن ذلك جائزا ومحتملا لما كان الامل ولانقطع فى جسد الانسان شريان الحياة .

انظر الى الذين ضحوا بأرواحهم فى معاركنا المشرفة ضد الاعداء على اختلاف اجناسهم فى الماضى البعيد والحاضر القريب ماتوا لنحيا نحن ولتورق أشجار الحرية . تلك سنة الكون فالليل يتبعه النهار والحرية يسبقها دائما القهر والارق والويل والدمار وكل يأس رغم فداحته وفظاعته يحمل فى طياته نطفة من أمل وفسحة من رجاء . من اجل البقاء من اجل الاستمرار . هكذا ... حتى قيام « الساعة » .

**مصطفى الفارسي**

---

**فى العدد القادم ننشر**

**دراسة للدكتور يوسف بكار ( الاردن )**

عنوانها : أثر شوقى وحافظ فى ابراهيم طوقان

---

# سقوط الأقنعة

شعر : كمال قداوين

عِندَمَا أرْتَمِي سَابِحاً في دَمِي ...
ودمِي يرْتَمِي سَابِحاً فِي خِضَمِّ المدَى الأقتَمِ ،
أتوهّجُ كالنار ، في اللهَبِ الصَاخِبِ المُضْرَمِ ،
أتَلَفّعُ بالغَضَبِ العَاصِفِ المُبْهَمِ ! .

* * *

عِنْدَمَا يَسْتَوِي الليلُ والوَجَعُ البَرْبَرِيُّ بِشَمْسِ النّهَارْ
يلتَقِي الحُبّ بالكرهِ والعشقُ بالإحتِضَارْ ...
تَحضُنُ الزَهْوَ أرجُوحَةُ الأملِ المتسابِقِ نَحْوَ التّشَامُخ
تَتَهَدمُ المُعْجِزَاتُ على المُعْجِزَاتِ ..
وَيَرْتطِمُ الجَزْرُ بالمدّ ،
تَصْدَأُ حُنْجُرَةُ الحُزْنْ ،
تُورِقُ فِي زَنْدِ مملكةِ الاخْضِرَارْ . !

* * *

عِنْدَمَا يسْتَعِيدُ الزّمَانُ بَشَائِرَهُ
تَسْتَعِيدُ المَدَائِنُ أبْرَاجَهَا
تَسْتَعِيدُ الشّوَاطِىءُ أموَاجَهَا
أسْتَعِيدُ انتِمَائِي إلى زَمَنِ الطلق

مُسْتَنْهِضاً همتي لاحْتِضَان النَّهَارْ ..
طاوياً سُحُبِي الكالحهْ ..
عَنْ ردَائِي المُوَشَّح بالنَّغَم المُتَسَرْبِل
بالوَجَع المُرِّ مُنْذُ عُهُود الهَزِيمَة ، عَصْرَ الدَّمَارْ ! ..
إنّهُ الوهمُ أنْ امتطى صهوَة الانتظارْ
إنّهُ الحُلمُ أن أتقدّم نحوَ خُطُوط التلاحم
في لحظة الانفجارْ ! ..
أيها الهاربون الى الزّيف
والمانعون عن العاشقين نبيذَ الهوى المشتهى
وارتياد ضفاف الشذى العسجدي
واحتراق بخور لظى الانتحار .. !
أيها الناعقون بعشق مرابع هذي الدّيّار
مثلما يتبخرُ في الأفق فيض المنى المرتجى
شاهراً ضوءه ،،
يتكسر حزني على صخرة اللاّقرارْ !
يبدأ البحر إعصارهُ ،
يطلقُ المدّ أنهارهُ ،
يُعلنُ العُمرُ إصرَارَهُ ،
ويغني على نخب الانتصار .. !

* * *

لوْ أسائلكمْ يا أحباءَ جفني الكليلْ
عنْ هوى قادم ؟
عن غد يعشقُ المستحيلْ ؟.

لوْ أسائلكمْ يا أحباء نفسي العليلة
عمّنْ ترى يستحلُ ارتشافَ المحبةِ
عبْرَ الرّحيلِ الطويل ..
ينزَع الانَ عنْ نزَوَاتِ الصّبا
غصّة الحلق والذّكريات ،
فهذاَ الزّمَانُ بخيلْ ... !
رُبما الذكريات التي زرَعَتْ في الجَداولِ زَنْبَقَةً
علقتْ درّةً في جَبِينِ الزّمَانْ ..
واستوتْ نخلةً أورَقتْ في الفلاهْ
رَغْمَ جَدْبِ المكانْ ! ..
قدْ تُعَاقرُ قَبْلَ الأوانْ ! .
رُبّما الذّكرَيَاتُ التي نَسَجَتْ منْ أريجِ القرنفُلِ موْلِدَهَا
وارتدَتْ حلّةً منْ شَذَى الاقحوَانْ ...
والتي حَلُمَتْ بِالندى يغسلُ الوَرْدَ
وَالوجعَ الجَامِحِ الوَمْض يَلْثِمُ كفَّ الحَنَانْ !
كلما فجّرَتْ شُعْلَةً منْ ضِيَاءْ ..
كلّما سَابَقَتْ مَوْجَةً ،
كلّمَا عانقتْ نجمةً ،
كلّما فَجّرَتْ طلقةً

* * *

في حقول التوجس والاحتفَال بميلاد ذاكرة البَدْء والانتهاءْ : !
قدْ تسافرُ عَبْرَ رحَابِ التجدّدِ قَبْلَ الأوَانْ ...
لمْ يَزَلْ فِي الحَيَاةِ بقَاءْ ،

لمْ يَزَلْ فِي القُلُوبِ ظمأٌ ،
لمْ يَزَلْ فِي الحَيَاةِ رِهَانٌ ! ...

* * *

وَلأني حَمَلْتُ مَعِي كَفَنِي دَائِماً
ولأني رسبتُ إلى مُسْتَوَى العُمْقِ فِي الجُرْحِ
فِي صدَإِ الأزْمِنهْ ..
ربما يعترِينِي هَوَى الذِّكريَاتِ القديمَهْ
أوْ أتشرّدُ فِي اللانهايَة ،
أنأى وحيداً ، غَرِيبا مُسَجّى على الأرْصفَهْ ..
ربّمَا أرْتَمِي غَارِقاً فِي لظى المَعْمَعَهْ ..
رُبّمَا تسْقُطُ الأقنعَهْ !
رُبّمَا تسْقُطُ الأقنِعَهْ ! ..

**كمال قداوين**



## في الأعداد القادمة ننشر

| | | |
|---|---|---|
| فضيحة .. ولا أثر له ! .......... | قصة : | **الحبيب بن فضيله** |
| دور الترجمة في تدعيم العربية .... | دراسة : | **البشير بن سلامه** |
| عندما تتفكك الحبال .............. | قصة : | **هناء السويسى** |
| المخطوطات التونسية بالمغرب ...... | دراسة : | **م. ص. عبد اللطيف** |
| عندما تسقط الأقنعة ............ | قصة : | **شفيقه الساحلي** |
| التكوين الفلاحي وبرنامج «أبطال الغد» | دراسة : | **البشير السالمي** |
| «الواح» بحث صوفي في مدينة حديثة | دراسة : | **يوسف رزوقه** |

# النادرة في الحجاز في العصر الأموي

## محاولة تصنيف وتحليل

بقلم : البشير المجدوب

**القلب والعكس : (*)**

وهو الخروج من مألوف الاحوال والاقوال الى نقيضها ، ويتمثل عنصر الاضحاك في النشاز المتولد من اجتماع الضدين .

ومن صور « القلب والعكس » أن يتلفظ القائل أو يستشهد في مقام تافه حقير بكلام لا يصح أن يقال أو يستشهد به الا في الموقف الرائع (1) : أو

(*) تتمة لما نشر في الفكر ع : 1 ـ س 28 ـ اكتوبر 1982 .

(1) يمكن أن نستشهد بفقرة من أفكه ما ورد في قصة « طمع اعرابي » وهي بمثابة الذروة من حيث الفكاهة والحركة الدرامية معا .
جاء في الاغاني : « .. فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويلك يا أشعب ! ان خالي هذا من أهلك وأقاربك ـ يعني الطمع ـ فأوسع له مما عندك . فقال له : نعم بأبي أنت وزيادة ! فقال له أبان : يا خالي انما زدتك في الثمن على بصيرة وانما الجمل يساوي ستين دينارا ، ولكن بذلت لك مائة لقلة النقد عندنا ، واني أعطيك به عروضا تساوي مائة . فزاد طمع الاعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير . فأسر الى أشعب فأخرج شيئا مغطى فقال له : أخرج ما جئت به . فأخرج جرد عمامة خز خلق تساوي أربعة دراهم . فقال له : قومها يا أشعب ، فقال له : **عمامة الامير تعرف به ، ويشهد فيها الاعياد والجمع ، خمسون دينارا** ، فقال : ضعها بين يديه ، فقال لابن زبنج : أثبت قيمتها فكتب ذلك .. ثم قال : هات قلنسوتي .. فقال : **قلنسوة الامير تعلو هامته ، ويصلي فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ثلاثون دينارا .. خفا الامير ، يطأبهما الروضة ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أربعون دينارا..**» الاغاني 19/20 1 ـ 121 ـ دار الثقافة ـ بيروت.

العكس . اى التلفظ فى الموقف الفخم الجليل بالكلام السخيف المزرى (2) .

ومنه قلب المظهر أو المنظر الى نقيضه والصفة الى ضدها ومثال ذلك هذه النكتة توجه بها أحد الخلفاء الى الشاعر كثير ، مداعبا اياه فى أسلوب من التعريض لا يخلو من لذع وبراعة .

---

(2) من أنسب الشواهد على هذا المعنى فقرة هى أروع ما جاء من فكاهة فى قصة «جنازة بنت الحسين» • دخلت على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدثه قال : كانت بنت حسين عند عائشة بنت عثمان تربيها حتى صارت *امرأة،* وحج الخليفة **فلم يبق فى المدينة خلق من قريش الاوافى الخليفة الا من لا يصلح لشىء .** فماتت بنت حسين بن على ، فأرسلت عائشة الى محمد بن عمرو بن حزم وهو والى المدينة .. يا أخى قد ترى ما دخل على من المصيبة بابنتى ونجيبة أهلى وأهلها ، وأنت الوالى ، فأما ما يكفى النساء من النساء فانا أكفيكه بيدى وعينى ، وأما ما يكفى الرجال من الرجال فاكفنيه ، مر بالاسواق أن ترفع ومر بتجويد عمل نعشها ، ولا يحملها الا الفقهاء الالباء من قريش بالوقار والسكينة ، **وقم على قبرها فلا يدخله الا قرابتها من ذوى الحجى والفضل ..** حتى بلغ بالنعش القبر ، فصلى ( الوالى ) عليها ، ثم وقف على القبر فنادى : من هاهنا من قريش ؟ فلم يحضره الا مروان بن أبان بن عثمان ، وكان رجلا عظيم البطن بادنا لا يستطيع ان يثنى من بطنه سخيف العقل . فطلع وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها اقصر من بعض ورداء عدنى يثمن الفى درهم ، فسلم فقال له ابن حزم : **أنت لعمرى قريبها، ولكن القبر ضيق لا يسعك .** فقال : **أصلح الله الامير انما تضيق الاخلاق .** فقال ابن حزم : **انا لله ، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى، فامر اربعة فاخذوا بضبعه حتى أدخلوه فى القبر.** ثم أتى خراء الزنج وهو عثمان بن عمرو بن عثمان ، فقال : السلام عليك أيها الامير ورحمة الله ، ثم قال : واسيدتاه وابنة أختاه ! فقال ابن حزم : **انا لله ! لقد كان يبلغنى عن هذا انه مخنث فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله ، دلوه فانه عورة ، هو والله أحق بالدفن منها.** فلما ادخلا قال مروان لخراء الزنج : **تنح اليك شيئا .** فقال له خراء الزنج : **الحمد لله رب العالمين ، جاء الكلب الانسى يطرد الكلب الوحشى .** فقال **لهما ابن حزم : اسكتا قبحكما الله وعليكما لعنته ! أيكما الانسى من الوحشى ؟ والله لئن لم تسكتا لآمرن بكما تدفنان ..** » الاغانى 19/85 ــ 88 انظر بقية القصة فانها فى نفس النسق من الفكاهة .

جاء فى الاغانى : « .. قال : رأيت كثيرا يطوف بالبيت ، فمـن حدثك أنـه يزيد على ثلاثة اشبار فكذبه : وكان اذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول **طاطى راسك لا يصبه السقف !!** » (3) .

ومنه أيضا مفاجاة المخاطب بعكس ما يتوقع من جواب : « سال اعرابى عبد الملك ( بن مروان ) فقال له : اسأل الله . فقال الاعرابى : **سالته فاحالنى عليك .** فضحك منه وأعطاه .. (4) .

ومما يذكر فى هذا المعنى : « قالت امرأة لاشعب : هب لى خاتمك . قـال : لماذا ؟ قالت : لاذكرك به قال : **اذكرينى بالمنع** » (5) .

ولعل من أطرف ما يستشهد به فى باب الاجابة المفاجئـة بعكس ما يتوقعه القائل هذه النادرة تروى عن أبى الاسود الدؤلى وقد « كان جالسا فى دهليزه، وبين يديه رطب ، فجاءه رجل من الاعراب يقال له ابن أبى الحمامة . فسلم ، ثم قال : **هل أدخل ؟** قال أبو الاسود : **وراءك أوسع لك** . قال الاعرابى : **ان الرمضاء قد أحرقت رجلى** . قال ابو الاسود : **بل عليها او اقصد الجبل فاستظل به** . قال الاعرابى : **هل عندك شىء تطعمنيه ؟** قال أبو الاسود : **نأكل ونطعم عيالنا ، فان فضل شىء فانت أحق به من الكلب** . قال الاعرابى : ما رأيت قط الام منك ، **أنا ابن ابى الحمامة** . قال أبو الاسود : **كن ابن أبى طاووسة** ، والقى اليه ثلاث رطبات ، فوقعت احداهن فى التراب ، فأخذها الاعرابى وجعل يمسحها بثوبه . فقال له أبو الاسود : دعها ، فان الذى تمسحها منه أنظف من الذى تمسحها به فقال الاعرابى : **انما كرهت أن أدعها للشيطان** . قـال أبـو الاسود : **لا والله ، ولا لجبريل وميكائيل تدعها** » (6) .

ومن أبلغ صور « القلب والعكس » وأرقاها لما تقتضيه من عمق النظـرة واحكام الفن ، ولما يتوفر فيها من طرافة وغرابة تقومان عـلى التأليـف بيـن المتنافرات من المعانى والاوضاع **المفارقة** . Paradoxe

---

(3) الاغـانى 6/9 .
(4) محاضرات الادباء ، 340/1 .
(5) نقلا عن الحوفى ، الفكاهة فى الادب : 185 ، وهناك رواية أخرى فى الاغانى 192/19 .
(6) الفكاهة فى الادب ، ص : 185 .

ومن أمثلتها ما رواه ابن قتيبة : « نزل يهودى على أعرابى فمات عنده . فقام الاعرابى يصلى عليه ، فقال : **اللهم انه ضيف ، وحق الضيف ما قد علمت ، فأمهلنا الى أن نقضى ذمامه ، ثم شانك والكلب !! »** (7) .

انها صلاة فريدة نوعها . و « ملح » النادرة يكمن فى هذا الموقف الغريب الشاذ .. فى هذا « الاجتهاد » الظريف ـ على اخلاله بتعاليم الدين ـ أن يصلى مسلم على يهودى واى صلاة هى !؟ محتجا بواجب الضيافة لا يرى فى ذلك بأسا ولا حرجا .. فأعجب به من «مفت» رجح كفة التسامح والاحسان .. تصرفا تعسفيا صادرا عن مروءة وسماحة وجهل وبساطة ، ولكنه جهل الكيس الخفيف الـــروح .

ونجد نفس هذه الازدواجية والتناقض فى موقف « المتلقى » مـن تصرف الاعرابى ، فانه قد يضحك منه وعليه ، وعلى وجهه ابتسامة سخرية واستظراف

وهنالك صنف آخر من أظرف صور « القلب والعكس » وهو المحاكـاة ( أو المعارضة ) الهزلية (Paradie) . ومما يشبه المعارضة الهزلية وليس فى الصميم منها هذه العينة الطريفة على الرغم مما يقترن بها من مجون واستهانة بالتقاليد الدينية وهى صورة من صور الهزل الجاد التى قد لا تخلو الفكاهة فيها من قتامة ومرارة .

جاء فى الاغانى : « خرج الوليد بن يزيد ، وكان مع أصحابه على شراب ، فقيل له : ان اليوم الجمعة . فقال : والله لاخطبنهم اليوم بشعر فصعد المنبر فخطب فقال :

| | |
|---|---|
| **الحمـــــد لله ولى الحمـــــد** | **أحمده فى يسرنـا والجهـد** |
| **وهو الذى فى الكرب أستعين** | **وهو الذى ليس لـه قريـن** |
| **أشهد فى الدنيا وما سواها** | **أن لا الـــه غيـــره الهـــا** |
| **ما إن له فى خلقه شريـك** | **قد خضعت لملكه الملوك** |
| ........................ | .................. (8) |

**حســـن التخلص :**

وهذا فن من التندر يتطلب من يقظة الذهن وقوة البديهة ومن المرونة واللباقة بل الرشاقة فى التصرف ما يمكن الظريف من التكيف مـع المواقف الطارئـة

---

(7) ابن قتيبة ، عيون الاخبار 52/2 .

(8) الاغـانى 56/7 ـ 57 .

المفاجئة ، والقدرة على مواجهتها والسيطرة عليها ، مهما تكن دقيقة محرجة ، سيطرة كاملة ، بفضل براعة القول وسلطان الكلمة .

وليس يصدق قولهم « ان البلاغة مراعاة مقتضى الحال ، وأن يكون لكل مقام مقال » كما يصدق على حسن التخلص .

والشواهد على ذلك كثيرة لا تكاد تحصى ، وذلك مصداق ما ذكره القدامى(9) من أن بلاغة العرب تقوم أساسا على البديهة ، وأن ما عرفوا به من ذكاء أقرب الى سرعة الخاطر واللمحة الخاطفة والى حدة الذهن والالمعية منه الى الروية الهادئة والتأمل المتئد الرزين .

ولاشعب فى هذا المضمار جولات جد موفقة ، منها هذا الجواب المستملح ، لمفاجأته السامع بعكس ما ينتظر ، ولما فيه من غرابة الخيال وشذوذه ، وفى ذلك أبلغ دليل على أن النادرة ، على قصر متنها وشدة اختصارها ، عمل ابداعى صميم لا يختلف فى جوهره عن أى مظهر من مظاهر الخلق الفنى الاخرى .

« لقى أشعب صديق لابيه فقال له : **ويحك يا أشعب كان أبوك الحى وانت أثط ، فالى من خرجت** ؟ قال : **الى أمى** ! » (10) .

---

(9) يقول الجاحظ : « **وكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال ، وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة** ، ولا اجالة فكر ولا استعانة ، وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع أو فى حرب ، **فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب ، والى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا ، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا** ، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر واكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر ، وكل واحد فى نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ ، ويحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب » . البيان والتبيين . تحقيق عبد السلام هارون ج 3/28 .

(10) الاغانى : 19/105 . وهناك رواية أخرى . ص 321 .

« قال رجل : رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالا كثيرا فقلت له : ويحك ما هذا الحرص ؟ ولعلك أن تكون أيسر ممن تطلب منه . قال : **اني قد مهرت المسالة ، فانا أكره أن أدعها فتفلت مني** » (II) .

فكأنما أصبح السؤال . فيما يزعم أشعب ، يطلب لذاته باعتباره فنا أو هواية لذتها وجزاؤها الحق فيما تستدعي من ذكاء وحيلة وجهد ، وما قوله الا تعلة ظريفة للتمويه على مخاطبه والسخرية منه .

**الرد بالمثـل ( أو مراعاة النظير في الرد )** Réplique du tac au tac

وهو نمط قريب من « حسن التخلص » ويشتركان في طبيعة الموقف الباعث على النادرة ( خاصية الاحراج ) وفيما يستدعيانه ايضا من خصال ومؤهلات .

ولعل الفرق بينهما،وهو نسبي Différence de degré et non de nature **يتمثل** في كون صاحب «الرد بالمثل» لا يقنعه التخلص من حرج موقفه **(أي مجرد الدفاع** عن النفس ) . يريد ان يعكس الآية فيسعى الى إحراج مخاطبه وايقاعه في مثل **الموقف او المأزق** الذي أوقعه فيه بل ، **على الاصح** ، في أشد منه وأدهى ، وهكذا **يحقق هدفين** في آن باتباعه مثل هذه الخطة الهجومية التي هي **سمة هذا اللون** من التندر وخصوصيته .

---

(II) **الاغاني** : 52/I9 – 93 . ومما يذكر في باب حسن التخلص **مـا ورد في** كتاب الظراف والمتماجنين : « قال نسيم الكاتب : قيل لأشعب : جالست الناس وطلبت العلم ، فلو جلست لنا ، فجلس فقالوا : حدثنا ، فقال : سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خلتان لا تجتمعان في مؤمن ، ثم سكت فقالـوا : ما الخلتان ؟ فقال : **نسي عكرمة واحدة ، ونسيت أنا الاخرى** » ص 3I .
وهناك رواية أخرى في كتاب الفكاهة في الادب ص I42 .
وجاء في الاغاني: «قال محمد بن ابراهيم الامام للدرامي: لو صلحت عليك ثيابي لكسوتك . قال :**فديتـك ان لم تصلح عـلى ثيابـك صلحت عـلى دنانيرك** » م 44/3 .
« قال محمد بن عبيد الله بن صبيح : ولي الحجاج رجلا من الاعراب بعض المياه فكسر عليه بعض خراجه ،فأحضره ثم قال له : يا عدو الله أخذت مال الله ! قال : **فمال من آخذ ! أنا والله مع الشيطان أربعين سنـة حتى يعطيني حبة ما أعطاني .**

وليس معنى « الرد بالمثل » ( وهي تسمية تعوزها الدقة ) أن الظريف يقيس على قدر كلام مخاطبه ، سواء بسواء يزنه بميزان العدل والتحرى ، لا يتخطاه ولا يقصر عنه ، انما الرد بالمثل ـ كما قلنا أنفا ـ أن ترد ردا مضاعفا .. أشد وامضى مما وجهه اليك الخصم، لكن فى كياسة ، فى غير اسراف ودون مجاوزة الحـد .. ردا قاهرا يحسم النزاع وينهى الصراع بالاجهاز على الطرف المقابل .

ولهذا سمى بعضهم هذا النمط من النادرة « الجواب المسكت » لما فيه من افحام للخصم ، وما احسن ما عبر العرب عن هذا المعنى بقولهم البليغ الرائع على خشونته « .. كأنما ألقمه الحجر ! » .

فمهما اختلفت نماذج هذا اللون من النادرة وتفاوتت حدة ولطافة ، صراحة وتلميحا تبعا لمزاج أصحابها وعلى حسب منازلهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية فان الهدف واحد وهو تعجيز الخصم وقطع خط الرجعة عليه بأقصى السرعة ، وحمله على الا ستسلام والانسحاب فورا من الميدان .

« منع عمرو بن العاص عن جنوده ما كان يصل اليهم . فقام اليه رجل منهم فقال : أيها الامير ، اتخذ لنا جنودا من حجارة لا تأكل ولا تشرب . فقـال له عمرو : اخسأ أيها الكلب . فقال الرجل : **أنا من جنودك ، فان كنت كلبا فانت أمير الكلاب وقائدها** » (12) .

قال عمرو بن العاص لمعاوية معاتبا اياه وقد لذ له أن يحرجه ويعاكسه، معرضا بأعماله السيئة وجرائمه ، واذا معاوية ينكشف له عن خصم أشد مضاء ودهاء والطف تعريضا وأبلغ مقالا : « رأيت فى النوم ان القيامة قد قامت وجيء بك وقد ألجمك العرق فقال معاوية : **هل رأيت هناك شيئا من دنانير مصر ؟!** »(13) مشيرا الى استغلال عمرو لولايته على مصر وغناه منها .

وشبيه بهذا ، الا أن الدائرة فيه على معاوية نفسه : « وقال معاوية لعقيل (بن أبى طالب) : ان فيكم لشبقا يا بنى هاشم. قال : **هو منا فى الرجال وهو منكم فى النساء** » (14) .

ـ يتبـع ـ

**البشيـر المجـدوب**

---

(12) ابن الجوزى . كتاب الاذكياء ، ص 108 .

(13) الفكاهة فى الادب ، ص 169 .

(14) كتاب الظراف والمتماجنين ص 24 . مثال آخر من « الرد بالمثل » : « لقى أعرابى آخر فسأله : ما اسمك ؟ فقال : فيض . قال : ابن من ؟ فقال : ابن الفرات . قال : أبو من ؟ فقال : أبو بحر . قال الاعرابى : **ليس لنـا أن نكلمك الا ونحن فى زورق .**

# سَنوات القحط مَنْفذ للخصب

شعر: رجب بن مهني

**من قصائد عصور القحط :**

وقصائدي لا تنتهي
لوشئتُ أكتبها بماء العينِ أكتبها
كوشم فوق صدري أو ذراعي
لوشئت ..
أن أبكي على ذل السباعِ
وأنا أرى الأبطال صاروا في سنيّ
القحط من ضمن الجياع
وتحولتْ تلك البطولات الكبيرة
في عصور القحط .. من عجز الضباعِ
تحولتْ تلك الذُّرَى بعضَ الحطام .
وتاكلتْ همم الرِّجَال ..
تاكلتْ قممُ الجبالِ
حقيرّة بأحط قاعِ

النسر صار دجّاجة
تحتج في قنّ الرعاعِ
يُبتز منها بيضها في كلّ يوم
وهي تشكو في التياعِ
وتنام ما حلّ الظلام
تنام بائسة وقد رحلتْ
تباشيرُ الشعاعِ

**الوهم يدمر المساعي :**

وهم يحط حمامة فوق الرؤوس
وقصيدة وقفت على الأطلال باكية
ستنتظر المسيح بأن يعود
النجم يخبر كلّ منْ سألوه
أن الأرض تمنحنا الوعود
ويقول: إن الغيب في الأفق السّعيد
كالشمس تشرق من جديد

ويهزنا طرب .. وترتاح النفوس
دمنا هنا
سيل يروّي القحط في سنة الجفاف
دمنا هنا
والسهم يخترق الشغافْ
دمُنا يسيل
ونحنُ نرقص في ارتجافْ
والحزن يعزف لحنه المخطور في
يوم الزفاف
دمنا هنا
قدر يكبلنا
ويقهرنا ويرمي كالنواة حطامنا
دمنا هنا
وجنازة تمضي فنمضي خلفها
واذا رجعنا لفنا النسيانُ
في ألفي لحافْ
وشيوخ كلّ قبائل العرب انحنوْا ،
وجموا ، وقد شربوا مياه الذّل ،
ناموا عندما طلع النهار ..
قدْ حولوا الأحلام أوهامًا وصاروا
لعنة في كلّ دار ..

**الوساطة :**

قد صدق الديك الثعالب حين أجزلت
المديحْ
قالتْ : لصوتك رقة يا صاحب
القول الفصيحْ
فشدا وأغمض جفنه فجرت وامسكت
المليحْ
واذا نواحه قد علا وهو المضرس
والجريحْ
ما كان يغريها الصدى ، والخبث من
شيم القبيحْ

**غدا سينبت الزهر :**

دمنا هنا
كالبرعم
دمنا هنا
سينام بين الأنجم
سيكون خير بداية للنار
لن تمحو السنوات آثار المجازر والدّم
ان القساةَ جميعهم .. لن يهربوا
سيرون أن الأرض شاهدة عليهم
والنساء وكل أطفال هوَوْا فوق
الثرى المتجهم
ستظلّ شاهدة عليهم طفلة ..
أو كلّ شيخ شاحب متهدم
سيزول من في الأرض لكنْ لن
تزول
شراسة الأعداء ، اثار الدّم .

# الشتاء ليس قارسا كما تتصورين

قصة : د. عبد القادر الحاج نصر

هز كتفيه ، وغادر حانوت الحلاق لا يلوى على شيء . فى نفسه بقايا مرارة وشجون ٠٠ وفى الركبتين وهن واسترخاء ٠ منذ الساعة السابعة صباحا وهو يشعر بحنين الى الماضى ٠ ولم يكن يعرف ما هو هذا الماضى ٠٠ هل هو امراة ، أم حادثة ؟! ام مكان ؟! لم يكن قادرا أن يتحسس طريقه فى المستقبل ٠ لذلك كان كل شيء يدفعه الى الوراء اياما وشهورا ٠

عندما دخل حانوت الحلاق ، لم يكن على يقين من انه يريد فعلا ان يحلق لحيته ، وان لحيته فى حاجة الى ذلك ـ كان يريد ان يتخلص من شيء ، وان يغرق فى شيء آخر ٠ وحين داعبه الصابون والفرشاة ، اغمض عينيه حتى لا يرى شيئا ٠ وحين سأله الحلاق : « لم أرك من قبل ٠٠ هل أنت عابر سبيل ، أم احد نزلاء المبيت الجديد ؟ » لم يكن يريد ان يجيب بكلمة لولا ان السؤال فيه الزام ، قال بتأن :

ـ مررت من هنا هذا الصباح ٠٠ لم أكن أقصد ٠٠

عاد الحلاق يجره الى الحوار ٠

ـ هل أعجبك المبيت ، نزلاء كثيرون يأتون ٠٠ وقد عرفت خليطا من الناس٠ ولكنهم ذهبوا ٠٠ كلهم شرفاء وكانوا يغمروننى بالتقدير ٠٠ ويعطوننى اكثر مما استحق ٠٠ لولا هذا المبيت لغادرت هذه الناحية ٠

تلكأ فى الجواب ٠٠ ثم تدارك الموقف ٠

ــ آه . المبيت .. انه مكان هادىء .. لكن النـزلاء يسهرون اكثر مـن الـــــلازم .

ــ ألم تنم البارحة .؟

ــ كان نوما متقطعا .. وعادة لا أنام بعد السادسة والنصف صباحا .

ــ هذا المبيت يأوى اليه عادة أناس طيبون .

ــ طيبون .. أجل ..

بدأ يستعيد أحداث الليلة الماضية ، والحـلاق يمرر عـلى وجهه منديـلا ذا ملمس حريرى ، ثم يضع عليه شيئا من العطر ، ثم يضرب بالمنديـل ضربات خفيفة . بدأ يستعيد الاحداث ويدخل يده فى جيبه ويدفع للحلاق أجرته . خيل اليه وهو يغادر الحانوت ببطء كأنه يشاهد أمامه تلك المرأة ذات القامة المتوسطة والشعر الاسود ، والعينين الواسعتين . تقتحم عتبة المبيت ملفوفة بفستان داكن اللون ، واضعة على كتفيها شالا أزرق . كان يتابعها مندهشا.. وازدادت دهشته عندما اتجهت نحو الركن الـذى يجلس فيـه ، وارتمت على كرسى من الجلد دون أن تسلم أو تستأذن .

بعد لحظات أشعلت سجارة ونفثت دخانا متواصلا فى الهواء واطلقت مـن صدرها زفرة حارة . كان لا يستطيع أن يرى ملامحها جيدا ، فقد كانت جالسة حذوه مديرة ظهرها للحائط ونظرها فى اتجاه مكتب صـاحب المبيت . تمامـا مثلما يجلس هو . ود بكل حرارة لو استطاع أن يواجهها ، ويغرق نظـره فى كل خط وزاوية من وجهها الاسمر . تحركت يداه بآلية مطلقة . واشعل هـو الآخر سجارة وأخذ يلتهمها بعجل ، ثم اشعل سجارة ثانية وثالثة .. وبدأت النار التى تلتهب فى جوانحه تسكن .. فقد كاد المنظـر يصبـح مألوفـا .. وكادت المرأة الجالسة قربه تتحول الى مادة لا روح فيها .

كان الضوء المنبعث من أعلى السقف باهتا وحزينا .. لكأن صاحب المبيت تعمد ذلك.. فالجالسون هنا وهناك فى القاعة يتحدثون الى بعضهم البعض وكأنهم يتهامسون .. وليس بامكان من يجلس فى هذا الركن من قاعة الجلـوس أن يشاهد بوضوح تام الجالس فى الركن المقابل . لكن الجلوس بهذه الطريقة يبدو على أية حال مريحا ، ويوفر هدوءا نسبيا لاولئـك الذين لهـم مشاغـل لا تحصى .

واستمر الوقت يتسلل ، وكاد الرجل يغادر مكانه لولا أن صوت المراة شق الطريق اليه متثاقلا ، فارتجفت أوصاله وعاوده الحنين اليها ٠

ـ ما الذى يمنعك عن الكلام ؟

شعر كأنه يقف فى قفص الاتهام ٠٠ وتساءل لماذا لـم تأته فكرة التحـدث اليها ، ولم لازم الصمت طيلة هذه المدة وهى قريبة منه ٠٠ كان عليه أن يكون أقل فظاظة ٠٠ فالمراة مهما كانت ، يجب أن تعامل بلطف ٠ قال وهـو يتردد بين الهمس والكلام :

ـ كنت خائفا ٠٠ وفى الحقيقة لم اكن اريد ازعاجك ٠

اجابت وهى ترمى بقايا سجارتها فى المطفأة :

ـ ها أنا منزعجة ٠٠ ولكن لا تظـن اننى اتهمك بشىء ٠٠ ان المسألة تعود الى زمن مضى ٠ لقد جئت الى هنا منذ يومين ٠٠ وكان ذلك بسبب قصة تافهة ٠٠ ولست أدرى متى سأغادر هذا المبيت ٠ الآن بدأت أستعيد قواى ٠ ولكن الامر لم ينقض بعد ٠٠ حين اخرج من هنا لا أدرى كيف سأواجه الواقع ؟

كان يود لو ظلت تتحدث هكذا مدة طويلة يستطيـع خلالهـا تجميع قوتـه ومواجهتها دون أى مركب ٠٠ لكنها كفت عن الكلام فجأة وتركت لـه المجـال للتدخل ٠

ـ أريد ان اعرف المزيد ٠٠ ألست من سكان هذه المدينة ٠٠ هل قدمت مـن مكان بعيد ؟

ـ لا يهم المكان الذى جئت منه ٠٠ المهم اننى جئت الى هنا ، واننى منذ يومين أسكن فى الغرفة الثانية بالطابق الاول ، واقضى وقتا طويلا كل ليلة . ان هذه الزاوية تعجبنى ، ما رايك ؟ تكاد تنسينى بعض الهموم التى علقت بى ٠

ـ لقد جلست فيها لاول مرة ٠

ـ ألم تشعر بشىء يشدك اليها ؟

ـ طبعا ٠. شىء لا مفر منه ٠٠ سوف تظل ذكراه عالقة بخاطرى الى الابد ٠

ـ هل سيكون بالنسبة اليك مجرد ذكرى فقط ؟

أدرك انه ارتكب هفوة وهو يتحدث اليها ، وانه قد يكون اساء اليها ، فاسرع يصلح الامر :

ـ عفوا ٠٠ انها اكثر من ذكرى ٠٠ اننى لا أستطيع أن اصف لك شعورى هذه اللحظة ، لا شك انى اشترك معك فى هذا الفيض من العذاب ٠

ـ وهل أنت تتعذب ٠ ومن اى شىء ؟

ـ أجل ، ولكننى لا ادرى احيانا لم أتعذب ؟

عادت هى الى سجارتها وعاد هو الى سجارته ٠٠ وكانت دوائر الدخان تتراقص بينهما وقد اصبحا شبه متقابلين ٠ تتمطى تلك الدوائر فى الفضاء ، فتقترب من مصادر الضوء الباهت وتكون غيمة صغيرة ٠

خرجت المراة منذ يومين من منزلها فى أحد الاحياء القديمة ٠ كان الوقت مساء ، وكان الطقس دافئا ، والمحلات الكبيرة غاصة بالحرفاء ٠ ومحطات الحافلات تدفع بالمئات من الناس ، ورغم ذلك فقد كانت المراة تشعر بفراغ وخيبة ٠ فهى تعانى الاحساس بالوحدة منذ زمن طويل ٠٠ اى منذ ان سافر زوجها للعمل ٠٠ وقد تلقت فى البداية بعض الرسائل العادية ، ثم انقطعت الرسائل ٠ ومر الوقت ثقيلا حزينا ، ومع مجىء كل ربيع جديد ، كانت تشعر بان حياتها ستأخذ حجما آخر ، فتتبدل تماما مثلما تتبدل قشرة الارض ، وتنور اشجار اللوز ، وتتفتح الازهار ، وتغمر الدنيا ريح الاخصاب ٠٠ ومع ان الربيع كان يمر سريعا وتعود الطبيعة الى اليبس والذوبان تحت هجمة الحرارة والرياح الجنوبية، الا انها تنظر الى كل شمس جديدة وكأنها تحمل معها الاخبار السارة ٠ كانت تسكن وحدها ، فهى لا تتلقى الا زيارات امها او بعض اقارب زوجها ٠ وكانت تقضى اغلب اوقاتها تفتح نوافذ المنزل او تغلقها ، وتنتظر مجىء ساعى البريد ٠ ثم تسرب اليأس اليها ولم تعد تترقب شيئا محددا ٠ وبين الحين والآخر تعاودها ذكريات الايام الاولى لزواجها ٠٠ كانت سعيدة كل السعادة مع زوجها ٠٠ كان يحبها وكانت تحبه ، ولم يكن هناك فى الافق ما ينذر بأى تغيير فى العلاقات ٠ ولكن الزوج عاد ذات ليلة متاخرا ٠ كان وجهه متجهما وملامحه توحى بأشياء غامضة ٠ ودون مقدمات قال لها : « انى مسافر » ٠ سألته : « الى أين ؟ » ، ولكنه لم يجب بوضوح ، ثم قال لها : « لقد قررت أن أغادر المدينة غدا » ٠ كان قرارا لا رجوع فيه ٠ ولم يعطها

الفرصة لتناقشه الامر . لقد حدث كل شيء بسرعة رهيبة .. ثم جاء الصباح دون ان يغمض لها جفن • واعانته على تهيئة حقيبة متوسطة حشر فيها بعض الادباش ، ثم ودعته فى الباب ، ورجعت . كان الاجوار يقولون لها : « انه سيعود ، وفى يده المال والحياة ، وستشحن الغربة قلبه بالحب والحنين اليك•• زوجك عاطفى جدا •• الا تتذكرين عندما كان يسعى كالمجنون لطلب يدك !؟ يلهث على قدم وساق •. كم هدايا حمل اليك ! وكم من كلمات لطيفة وجهها اليك !• الايام تدخل على الانسان شيئا من البرودة واليأس ، ولكنه سرعان ما يعود .. ان زوجك رجل طيب .. حتى وهو على بعد آلاف الاميال .. لا شك انه يعيش معك ، لا يفارقك ولا تفارقينه » •

كانت تتنهد عند سماعها مثل هذه الكلمات وكان احساسها يحدثها بغير هذا • ولقد اصبحت أحجام الاشياء والموجودات لديها غير متوازنة . قالت لامها ذات مرة : « لم يشهد الحى شتاء اكثر برودة منذ سنوات طويلة •• لماذا انصبت موجات البرد بهذه القسوة ؟ » • أجابتها وهى تنظر الى شعاع الشمس المتدفق من خلال بلور النافذة : « الشتاء ليس قارسا كما تتصورين •• انظرى صفاء الشمس ، ومجموعات العصافير تتنقل هنا وهناك • انه أروع شتاء على الاطلاق » • حتى قاعة الجلوس اصبحت فى نظرها تحتوى على بعض الشذوذ والاعوجاج .. الشمس ايضا تطلع مبكرة ، وتغرب متأخرة . امها بدت اكثر شيخوخة من ذى قبل • واكثر تدخلا فى شؤونها • . ساعى البريد رجل فظ ، وربما اخفى عنها بعض الرسائل •• اذ لا يعقل ان لا يرسل لها زوجها المكاتيب ولو فى اوقات متباعدة • وفى هذه الدنيا المتنافرة كانت تحس بجمالها يشرق على كل شيء • عندما تواجه المرآة •• وتقف امام صورتها ، تشعر انها اكثر حرارة وحيوية من اى وقت مضى ، وانها فى حاجة الى تقفز فى الهواء وتضرب فى طرقات المدينة ، وتتجول من ساحة الى اخرى ، لا شيء يثنيها او يتعبها •• هذا اللون القمحى الذى يغلب على قشرة جسمها ، وهذه الرموش السوداء وهاتان العينان الواسعتان ، وهذا القوام الطاغى المتجبر ، اى شيء يمكن ان يقف أمامه ، واية قوة تحد من انطلاقته ! كانت ترى كل شيء على وشك السقوط ، ولكنها هى الوحيدة القادرة على تجاوز كل العقبات •

مدت يدها بحركة لا شعورية وربتت على كتفيه :

ــ كل واحد له قسط من العذاب •• لا يمكن ان نهرب من ذلك ، ولو اردنا فليس ذلك بايدينا • ولكن لا يجب ان نستسلم والشعور بالضعف لا يجب ان يتجاوز حدا معقولا •

واجابها بكل ارتباك :

ـ اجل ٠٠ ان كلامك لا يخلو من حق ٠

اردفت كأنها لم تسمعه :

ـ هل يمكن ان يظل المرء رهين احساس بالضعف مدة خمس سنوات كاملة ؟

ـ لا ٠٠ ليس ذلك منطقيا ٠

ـ اذن ٠٠ كان لابد ان آتى الى هنا ، وانت لماذا جئت ؟

طأطأ رأسه ، واستغرق فى التفكير ، وعادت هى تدفعه الى الكلام ٠

ـ قل ٠٠ لقد ظللت انا خمس سنوات قبل ان اقرر المجىء الى هنا ٠٠ وانت كم بقيت ٠؟

شعر بالحرج يعقد لسانه ٠٠ ماذا باستطاعته أن يقول ؟ وهل سيكون لكلامه فائدة ؟

ـ قررت ان اذهب فجئت الى هنا ٠



حدقت فى عينيه :

ـ هل انت متزوج ؟

تردد ، ثم اجاب بتلعثم :

ـ انا متزوج فعلا ، ولكننى لست متزوجا ٠٠ آه ٠٠ انها حالة غريبة وشاذة ٠ اجل ان الامر كذلك ٠٠ لقد فقدت موضعى الحقيقى ولا اعرف اين اضع قدمى ٠ ماذا اقول ٠؟ كانت امراتى قبل ايام هنا ٠٠ ولكنها الآن ليست معى ، وربما لن اراها من جديد ٠

اعتدلت فى جلستها لتواجهه اكثر :

ـ هذا يعنى انك تخاصمت معها ٠

اسرع يرد عليها :

ـ لا .. ابدا .. لم اتخاصم معها ابدا .. ولكنها ذهبت ويبدو اننى لن اراها مرة اخرى ۰ قيل لى : ان هذا يحدث بين الحين والآخر ولا مرد له ۰۰ اننى احبها وهى تحبنى ۰۰ وسيظل ذلك هو عزائى الوحيد ۰

اسند ظهره على المقعد ، ونظره معلق بالسقف . وظلت هى تتنقل بصرها بين مكتب صاحب المبيت ، والرجل الجالس حذوها ۰ لم يعد فى القاعة الا نفر قليل ، وكانت الاضواء ما تزال خافتة ، والهدوء يضفى شيئا من الالفة والحب على الجالسين . قالت وهى متجهة بنظرها ناحية اخرى ۰

ـ لا ادرى ما الذى تعنيه ۰۰ ولكنى اكاد افهم ۰ انك تتعذب ۰ وتعانى اشياء لا تفهمها حتى انت ۰ ولكن هل لك شىء تضيفه ؟

قرب راسه منها :

ـ اجل ۰۰ كنت سأعرض عليك الخروج ، والذهاب الى اى مكان ۰۰ الا ان الوقت يبدو متأخرا ۰ هل تعديننى بذلك غدا ؟

سكنت المرأة الى نفسها ۰۰ وتململ هو فى مكانه وانقضت لحظات قبل ان تنهض وتتجه بخطوات ثابتة نحو الدرج المؤدى الى الدور الاول ۰ كان هو يتابعها بنظرات زائغة ، كانت تنقل خطواتها وراسها منحن الى الامام ۰۰ «لعلها تفكر او لعلها لا تفكر فى شىء ۰۰ هذه المرأة الغريبة ۰۰ هذه المرأة» ۰ وقبل ان تنزوى فى منعطف الدور الاول توقفت عن السير ثم التفتت اليه ۰۰ لم يكن الضوء الخافت يمكن عيونهما من الالتقاء ۰ ولكنها كانت تشاهد بعض تقاسيم وجهه ، ويشاهد تقاسيم وجهها . لحظات .. ثم غابت فى ثنايا الدور الاول .

كان يتابع السير ورائحة الصابون ماتزال عالقة بحاسة شمه ۰۰ هل يجدها ۰۰ هل يهتدى اليها ۰۰ البارحة أومأت اليه برأسها ۰۰ كان يعتقد انها موافقة على اللقاء ۰۰ لكن اين ۰۰ وكيف !؟ لم يجد الفرصة ليحدد ذلك معها بوضوح۰ فى الصباح سأل عنها صاحب المبيت فقال له : « لقد انصرفت منذ ساعة ، ولا أعتقد انها ستعود ۰ »

الطقس دافىء .. وبعض الغبار تجرفه ريح فاترة فيلتصق بوجهه ، يمره على ملامحه ، فيشعر بقساوتها . يحاول ان يمسح الغبار فيجد انه امتزج بالعرق .. يواصل السير ، يقف .. يتابع الخطو سوف يجدها .. انها هناك في آخر الزقاق .. في الحديقة ، على ضفاف النهر .. امام مغازة المصبرات . يجب عليه أن يتغلب على الاحساس بالتعب والارهاق .. سيصل اليها مهما كان الثمن .. انها تنتظره .. وهي تبحث عنه .

في احدى الساحات ، اتكأ على عمود كهربائي .. مسح العرق . ومرر بصره في كل الانحاء . انها لا توجد في هذه الساحة .. ولكنه سيبحث عنها الى ان يجدها ، بعض الامتار فقط .. لم يعد هناك مكان في المدينة لم يذهب اليه .. هل هناك امكنة اخرى ؟

ما أجمل السير في المدينة ! حين تعثرت قدمه وسقط على الارض .. كان الليل قد بدأ يزحف على المباني ، وبين الحين والآخر يلمع فانوس في الشارع قال في نفسه : «لقد بدأت السهرة أليس كذلك ؟ ومن الاحسن أن أعود الى المبيت فقد اجدها هناك» !



**د. عبد القادر بن الحاج نصر**

**مـن قصـائد الأعـداد القـادمة**

| | | |
|---|---|---|
| عبير الوداد .................... | شعر : | **محمد بن صابر** |
| ذكريات ..................... | شعر : | **نور الدين فارس** |
| يا أنت ! .................. | شعر : | **فاطمة بديوي** (سوريا) |
| لا يحيق المكر السيء الا بأهله .. | نظم : | **عبد الله الزناد** |

# القربان المرفوض

شعر: محمد علي الهاني

الريحُ حصانُ جنونٍ
يعدو في ملكوت الحتفِ
والليلُ الأعمى
دوحَةُ أشجَانِ
تحمِلُ فَاكهةَ الخوفِ
رأسي طاحونَةُ اغماءْ
وأنا زهرٌ حجري ..
أتقلبُ فوقَ الرمضاءْ
أتقلبُ .. أرفس أرض الكهفِ
السوداءْ
تهتز الأرض العاقرُ
ينبجِس الماءْ
تتفتحُ في بستان الجُرْحِ
زهور ضياءْ
يكسُونِي زَبَدُ السحْرِ
تُجنّحُنِي الأحلامُ العذراءْ
أرتَادُ مُرُوجَ البَدْرِ
على مهرة عِشْقِي
ألقى مولاتِي
في ذاكرةِ الحلمِ فرَاشةَ برْقِي
أهديها رأسي ...
ترفضُهُ ...
يتلاشى جثةَ نيرانِ
يعْري جُرْحي الوسنانُ
تُغْطيني أشجَانِي
أتدحرجُ قطعةَ اسفنجْ
فوقَ الينبوع الميت أبداً رحلة جوعي
بيدي الشمعةُ أقداحُ نَجيعي
أتقوقعُ فوقَ (الأعرافْ)
يتطلّعُ كاللعنة (مسرور السيّافْ)
فأنادي : « ......
يا ... اضربْ عنقِي ... !
رأسي رأس (الخنساء) !
رأسي لا يصْلحُ خبزاً للفقراءْ !
امنحني رأساً آخر يحملُ عيني
(زرقاءْ) !
كي أزرعَهُ
في ليلِ التيه طريق خلاص للبؤساء »

# ملامح في شعر نور الدين صمود

بقلم: رابح لطفي جمعه
(القاهرة)

★ لمحة عن حياة الشاعر :

يعتبر الدكتور نور الدين صمود واحدا من رواد تطور الشعر التونسي الحديث وعلامة بارزة في طريق ذلك التطور منذ الخمسينات من هذا القرن ، واذا جاز لنا أن نستعير من أبي هلال العسكري الناقد العربي القديم تعبيره عن الشعر بانه « صناعة » ، فان نور الدين صمود يعد أحد القلائل المحيطين بهذه الصناعة عن خبرة ودراية ، البصيرين بقوالب الشعر وأوزانه وقوافيه عن ممارسة ودراسة ، فالشعر عنده ـ كما يقول ـ وحي والهام وفن وصناعة ، والشاعر الفنان بعض ألوهة خلاقة بين البشر ، وقد أعانه على ابداع هذا الفن واتقان تلك الصناعة طبيعة فطرية أصيلة وسليقة شعرية مرهفة وموهبة فنية خلاقة ، ترجع الى البيئة والظروف التي نشأ فيها الشاعر ، فهو من مدينة قليبية من الوطن القبلي الذي هو أشبه بجزيرة خضراء تكسوها المروج والخضرة الدائمة وتجمع بين جمال الطبيعة الاخاذ والتربة الخصيبة المعطاء .

درس شاعرنا في المرحلة الثانوية بجامع الزيتونة وانتمى الى رابطة القلم الجديد التي احتضنت العديد من شباب الكتاب والشعراء وتخرج منها الكثيرون ممن لمعت أسماؤهم فيما بعد . وقد حاول وهو في مقتبل العمر أن ينشر بالصحافة العربية بعض إنتاجه الشعري المبكر ، وعندما نال شهادة التحصيل العلمي سنة 1954 سافر الى القاهرة ليدرس الادب واللغة بجامعتها ، إلا أنه تحول عنها الى بيروت حيث أكمل بها شهادة التخرج ، وفي تلك الاثناء وضحت موهبته الشعرية واستقامت لديه ملكة الاداء ، فأنشأ يراسل مجلة «الفكر» التونسية لصاحبها الاستاذ الكبير محمد مزالي ، كما أخذت مجلة الاديب البيروتية تنشر له بعض إنتاجه الشعري ، وعندما عاد الى وطنه مارس مهنة تدريس اللغة العربية بأحد المعاهد الثانوية ، وشارك في نفس الوقت في كثير من ألوان النشاط الادبي والاذاعي ، كما شارك في رئاسة تحرير « المجلة

الثقافية » التونسية ، وهو الآن أستاذ الادب والدراسات القرآنية في كلية الزيتونة بتونس ورئيس تحرير مجلة « الشعر » التى تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية بالقطر التونسى .

### ★ النزعة الرومنسية في شعره :

كان لا بد لنا أن نقدم الحديث بين يدى القارىء بهذه النبذة عن نشأة الشاعر وتعليمه وثقافته ونشاطه الفكرى والادبى ، لايماننا بأن الالمام - ولو فى عجالة - بنشأة الشاعر وثقافته وتكوينه العقلى ، يعين الناقد كثيرا فى إلقاء الاضواء على إنتاجه ، وبالتالى التعرف على المؤثرات التى تقف وراء هذا الانتاج .

إذن فنور الدين صمود شاعر نشأ فى بيئة طبيعية جميلة ، مليئة بالاشجار والاطيار ، غنية بالمياه والخضرة والظلال ، فواحة بالعطر والاشذاء وبالذات فى مدينة قليبية التى جعلها موقعها الجغرافى من الوطن القبلى محطا للربابنة يرسو بهم فلكهم على حدود ثغرها ، فلا غرابة اذن أن يكون شاعرنا رقيق الاحساس مرهف المشاعر مستوفى العاطفة جانحا الى الرومانسية ، يجرى مع تيارها الحالم بكل ما يتميز به هذا التيار من تعلق بالمثالية وفرار من الواقع وانطواء على الذات واجترار للذكريات والتهويم فى عالم مجنح الرؤى ، والافتتان بنظريات تأملية فلسفية فى الحياة تغلفها نزعات وأشواق صوفية تشوبها مسحة من الحزن والاسى وقد تتخللها نزعة الى اقتناص اللذات .

وقد ذهب الاستاذ أبو زيان السعدى فى كتابه « الادب التونسى المعاصر » الى أن الروح الرومانسى الذى يسرى فى قصائد بعض الشعراء التونسيين - ومنهم نور الدين صمود - يرجع الى الظروف الاجتماعية والسياسية التى عرفها المجتمع التونسى خلال الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، وما ساد البلاد من استبداد وقهر سياسى ملأ النفوس هما وحزنا وأفعم القلوب ألما وأسى ، دفع بالكثير من هؤلاء الشعراء الى إيثار العزلة والانطواء خوفا من قسوة الواقع وصرامة ردود أفعاله ، فهرعوا الى الوهم والخيال ولاذوا بالتهويم فى عالم الذكرى واجترار الاحلام ومداعبة الامانى العذاب وملاحقة الاطياف الشاردة والرؤى المجنحة لتتعزى النفوس عما افتقدته فى دنيا الواقع وتتلهى عنه بما يشبه أحلام اليقظة .

ولكننا لا نوافق الاستاذ أبا زيان على هذا التعليل لظهور تلك النزعة الرومانسية فى شعر نور الدين صمود ، ذلك أن غلبة هذه النزعة على الشاعر - أيا كان هذا الشاعر وفى أى زمان أو مكان - إنما ترجع فى المقام الاول الى فطرته التى فطر عليها واستعداده الطبيعي وميله النفسى الى الانفعال برهافة شديدة فى الحس ورقة مسرفة فى الشعور وانطلاق جامح فى العاطفة ، وهذه كلها أمور لا يد للشاعر فيها ولا تأثير عليها للظروف السياسية أو الاجتماعية المحيطة به .

حقيقة إننا لا ننكر أن للبيئة والظروف الخارجية المحيطة بالشاعر تأثيرا قد يساعد على ظهور تلك النزعة الرومانسية وتفجير ينابيعها الكامنة فى نفسه وقلبه ، ولكن هذه النزعة تظل قبل كل شىء وبعد كل شىء جزءا من فطرة الشاعر وتكوينه النفسى .

نعود فنقول إنه قد صدرت لنور الدين صمود حتى الآن مجموعتان شعريتان إحداهما بعنوان : « رحلة فى العبير » وتشمل بعض منتخبات من إنتاجه الشعرى الذى نظمه قبل صدور هذه المجموعة ، والثانية تحمل عنوانا من شقين : « صمود ، أغنيات عربية » .



★ **نزعة التجديد عنده :**

ويهمنا قبل أن نعرض لأهم الملامح البارزة فى شعر نور الدين صمود أن نشير فى هذا الصدد الى جهوده ومحاولاته فى تطوير شكل القصيدة العربية.

والواقع من الامر أنه يعتبر بحق واحدا من أولئك الشعراء التونسيين المعاصرين الذين أسهموا فى تطوير شكل القصيدة وتمردوا على هذا الشكل وحاولوا التجديد والتطوير فيه . ولعل أول ما بدأت محاولاته فى هذا المجال أن تكون قد بدأت بالقافية ثم تطرقت بعد ذلك الى الاوزان ، فحاول أن يدخل من خلال تجربته الشعرية شكلا جديدا للقصيدة العربية يتحرر فيه من ربقة القافية وقيد الروى ، وقد عبر عن هذه المحاولة بقوله :

**أريد ابتكار المعانى || وأغنية لم يدر لحنها بظنون الوتر**
**وخلق أغان || ولكنها لم تكبل**
**أريد المعانى التى لم تلج بخيال البشر || بحبل القوافى**

ومن هنا فاننا لا نعتبر نور الـدين صمـود شاعرا عموديا وانما هو شاعر متحرر ؛ ينظم أغلب قصائده بالطريقة الجديدة ، ولكن بوعي ودربة بأساليب هذه الطريقة أبعدته عن الاسفاف والابتذال اللذين غرق فيما بعض الشعراء المحـدثين .

ولم يقف الشاعر عند حد الثورة على شكل القصيدة فحسب ، بل تجاوزه الى محاولة التجديد والتنويع فى أوزان الشعر ذاتها ، فكتب بمجلة « الحيـاة الثقـافية » التونسية مقالا بعنوان : « محاولات لوضع بحور جديدة من عهد الخليل الى الآن » ــ تحدث فيه عن حـوالى عشـرين محـاولة لشعراء قدامى ومحدثين حاولوا ابتكار أوزان جديدة واستنباط بحور مستحدثة ، خاصة ما عرف بـ « البحور المقلوبة المهملة » ، كما تحدث عن محاولات بعض الشعراء مزج التفعيلات التى تتكون منها بحور الشعر للحصول على بحر جديد ، وقد حاول نور الدين صمود نفسه أن يمارس هذا المزج بين التفعيـلات فنظـم قصيدة بعنوان : « الى ميـلاء » (1) .

★ **النظـرة الى المـرأة فى شعـره :**

لقد صدر الشاعر فيما نظم من أشعار مجموعته الاولى : **« رحلة فى العبير »** عن تلك الروح الرومانسية المتغلغلة فى نفسه المتزجة بروحه وقلبه ، الكامنة فى أعماق أعماقه ، ومن هنا فان هذه المجموعة تمدنا بالسمات الحقيقية لوجه الشاعر وتحدد لنا بوضوح الملامح البارزة لأسلوبه الفنى فى الشعر ، وتبين لنا الاغراض التى دار حولها شعره ، بحيث يمكننا أن نتعرف عليه من خلال هذه المجموعة الشعرية الصغيرة ، وأن نتعرف على خط سيره النفسى والفنى الذى مر بهما عبر رحلته الشعرية . وكما يقول أبـو زيـان : إنه منذ الوهلة الاولى يرتسم فى الذهن خاطر لا يمحى أبدأ ينبىء عن نفسية الشاعر ويشى بالحظ العاطفى الذى صدرت عنه أعماله ، هو هذا الروح الرومانسى الـذى يسرى فى قصائده .

وإذ كان الرومانسيون يحتفلون أيما احتفال بالشعر العاطفى الوجدانى ، فقد انصرف شاعرنا بكليته الى الغزل ؛ فمعظم قصائد « رحلـة فى العبيـر » مضمخة بعطر الانثى ، ممتزجة بأنفاسها ، تفوح منها أشذاء فاغمة لشقراوات

---

(1) مجلة « الحياة الثقافية » ، عدد سبتمبر وأكتوبر سنة 1979 ، ص 43 وما بعدهـا .

وبيضاوات وسمراوات بل وزنجيات جميلات ، حتى ان ديوانه الاول ــ كما يقول أبو زيان ــ يكاد يكون متحفا لكل هؤلاء النسوة ، يسمعهــن كلمـات الغزل الرقيق إرضاء لرغباتهن ، استمع الى مناجـاته يخـاطب فيها إحـدى الشقــراوات :

**شقــراء يــا دميــة أوهـامنـا    كم عشت عبر الوهم فى وهمى**
**إن صرت يوما طوع ما أشتهى    بــرقعت وجــه البــدر بالغيـم**
**طــرزت بالفيــروز أطــرافـه    سيجتــه بالشــم والضــم**
**شقـراء قـولى أين أين اللقـا    أم نلتقى فى شـاطئ الوهـم**

ثم هو يقول عن إحدى الزنجيات :

**جبيبتـى زنجيـه    مـن قـارة النغـم**
**سـوداء افـريقيـه    ومـن قـرارة الألـم**

وهو بهذا يذكرنا بتنقلات بودلير بين البيضاوات والسمراوات ، وهيامه « بجان دوفان » تلك الخلاسية تارة ، وبمدام « أبو ساباتيه » تارة أخرى .

على أن شاعرنا ينظر الى المرأة نظرة وجلى مثالية يقصر اللفظ عن أن يحيط بجمالها وسحرها ، فالمرأة فى كثير من قصائده هى المصدر الاول لسعادته التى لا تحد بحدود ، وهى فى نفس الوقت منبع لشقائه الذى لا يقاس به شقـاء ، إنها قريبة منه أشد ما يكون القرب ، ولنها فى ذات الوقت بعيدة عنه أشد ما يكون البعد ، لا تستطيع أمانيه اللاهثة وراءها أن تحتويها لفرط بعدها منه وجلالها وقداستها فى نفسه ، إنها مطلب أساسى ينبغى السعى وراءه وحاجة من حاجات النفس الملحة :

**سأركض خلفـك يـا زهــرتى    فانى فــراش يحـب الزهــور**
**ويبحـث عنهـا بشــوق ملـح    ولو نبتت فى رحـاب الأثيـر**

وهذه الصورة الشعرية التى تكثر فى قصائد الشاعر تحمل لنا دلالة على نفسيته ؛ فهو أبدا ظامئ الروح والجسد الى المرأة ، وهو دائما مثالى النظرة والتصور للمرأة ، ولا غرابة فى ذلك ، فنحن ازاء شاعر رومانسى من الدرجة الاولى تأثر تأثرا شديدا بمفاهيم الرومانسيين والتزم أسلوبهم فى المعـالجة والفن وتأثر خطاهم فى طريق الظلال والدموع والآهات .

وقد لاحظ الاستاذ محمد الصالح الجابرى فى كتابه : « الشعر التونسى المعاصر » أن الشاعر تحول فى بعض فترات حياته وانتاجه الشعرى من تعبد للجمال والبهاء والنضارة ، ومن إجلال وتقديس للمرأة الى غزل مغرق فى طلب اللذة والجسد ، فلم يعد ذلك الشاعر الذى يقنع بزورة حلم ولمسة كف وهبة عطر وخصلة شعر ووردة تذكر بخد المحبوبة المستغرقة فى مخدات الريش ، ولكن كما يقول فى قصيدته عن « جينا » تلك الفتاة الايطالية الحسناء التى صادفها ذات صيف بأحد فنادق روما :

| | |
|---|---|
| وبدت فى النزل غاده | فوق نهديها قلاده |
| دخلته فى سكون | من زهور الياسمين |
| مثلما تدخل فى القلب السعاده | أيقظت فى الامانى المستحيله |
| دخلت كل قلوب الحاضرين | بعثت فى خيالات الطفوله |

بهذه الالفاظ الشاعرية السهلة أفرغ نور الدين صمود شحنة انفعال اللحظة باحساس صادق يشى برغبة حسية جامحة ، فهذه الايطالية الحسناء دخلت قلوب كل الحاضرين ـ ومنهم شاعرنا بطبيعة الحال ـ وأيقظت فيه الامانى المستحيلة وبعثت فيه خيالات الطفولة ، وغنى عن البيان ما توحى به عبارة « الامانى المستحيلة » و « خيالات الطفولة » من معان وتصورات وايماءات ، وهنا تكمن مقدرة الشاعر فى اختيار الالفاظ الموحية التى تدع الافكار تتوارد وتتداعى .

## ★ استعمال الرمز والاسطورة عنده :

وهذه المقدرة فى اختيار الالفاظ الموحية تجرنا الى الحديث عن استعمال الرمز والاسطورة فى شعر نور الدين صمود .

ولعله أن يكون من نافلة القول ان التجاء الشاعر الى عالم الاساطير ضرورة من ضرورات الرمز اذا لم يعد قادرا على الكتابة الصريحة المباشرة فيستعين بما ترمز اليه الاسطورة عندما تعجز اللغة التقريرية عن توصيل معانيه الى القارىء .

والايماء الى الاساطير لون من ألوان الرمز التى وجد فيها الشعراء والادباء أداة طيعة للوصول الى المعانى المجردة والمشاعر والاحاسيس التى تعجز اللغة المباشرة عن إدراكها واللحاق بها والتعبير عنها . على أنه يشترط أن يستعمل الشاعر الاسطورة وما توحى به من ظلال واشعاعات وايماءات وتصورات ودلالات بقدرة وبراعة وذكاء، والا فان الاكثار منها أو إساءة استعمالها يضيع على القارىء فرصة الاستغراق والمتابعة والتلاحم مع فكر وعواطف الشاعر ، لانه سينصرف عن الموضوع الاصلى الى ما يتيحه الرمز والاسطورة من لمحات جانبيه ، بالرغم من أن المفروض فى الرمز أو الاسطورة أنهما يوفران للشاعر الجيد امكانيات فنية كبيرة ويقدمان له مساعدات لا تتوفر لديه بدونهما ، ويمنحانه الفرصة لتعميق أصول تجربته الشعرية ومد جذورها الى أعماق النفس والتاريخ .

وقد احتفى نور الدين صمود فى شعره احتفاء كبيرا بالاسطورة كرمز يثير العواطف والاحساسات الراكدة في النفس ويوحي بأكثر من معنى ودلالة ويفتح للقارىء آفاقا رحبة من الايحاءات والتصورات وتداعى المعانى .



على أن الاستاذ أبا زيان أخذ عليه إيغاله فى الاساطير والرموز كما فعل فى قصيدته « مأساة سيزيف » وقصيدته الموسومة « سيـاج الحـب والازهـار » وقصيدته « أسطورة من عهد القراصنة » .

وبعـد ...

فهذه بعض اللمحات والملامح العجلى عن شعر نور الـدين صمـود ، الشاعر الرومانسى الرقيق ، شاعر الفراشات والاحلام والعبير الذى يجيد فن مخاطبة المرأة ويحسن الحديث عنها ، وقد يقع خلال ذلك على صور بديعة ومعان مبتكرة طريفة تدل على موهبة أصيلة ومقدرة فنية خلاقة . ولا يسعنا ونحن نختتـم هذا المقال الا أن نتمنى لشاعرنا المزيد من التوفيق فى العطاء وإثراء خميلـة الشعر العربى بكل جديد ومبتكر .

**رابح لطفي جمعه**

# كِتابةٌ بإصْبعِ التّاريخ

شعر: محمّد أحمد ساسي

مِنْ جِراحٍ تَنِزّ دَمْعا سَخِيّا — أكتُبُ الشعرَ بِالحُرُفِ الشقِيه
مِنْ أنِينِ الجِياعِ بَيْنَ خِيامٍ — نشَرَتْهَا صَهَايِنٌ فِي البَرِيّه
مِنْ تُرابٍ يَئِنّ تَحْتَ غُزَاةٍ — عَذّبُوا فِيهِ كُلّ رُوحٍ فَتِيه
يَزْفرُ الحزْنُ من عَمِيقِ وُجودي: — أينَ رَاحَتْ جُيُوشُنَا العربيه ؟

* * *

أتُرَى صِرْنَا إنْ سَمِعنا رَصَاصا — ذَكّرَتْنَا نِيرَانُه بِالمَنِيه ؟
فَمَشَيْنَا والذلّ يَحْدُو خطانا — كالحيارَى نَقولُ : أيْنَ الثنيه ؟
ذَرَفَ المجْدُ دمعةً ، وبَقِينا — نَكتُبُ الشِعْرَ بِالدّمُوع السخيه
نَضْمِدُ الجُرْحَ بالأوّاهِ أيُجْدِي — حَرْفُ "آهٍ" لكِي نَحُلَّ القضِيه !؟

* * *

يا فِلِسْطِينُ أنْتِ جُرْحٌ برُوحِي — وَحَيَاتِي التِي تَعِزّ عَلَيه
وَالفِدَائِيُّ لم يَزَلْ بِفُؤَادِي — لَهُ مِنّي تَحِيةٌ وَتَحِيه .
وَالشّهِيدُ الذِي أريقَتْ دِمَاهُ — لم تَزَلْ رِيحُهَا تَفُوحُ زكيه
وَتُنَادِي للثائِرِينَ : تمادوا .. — إنّنِي لَمْ أزَلْ كغَيْرِي حَيّه
ذَهَلَ السّمْعُ وَبَقِينَا كبُكمٍ — نَمْضَغُ الصّمْتَ بِالعُيُونِ الغبيه
مَنْ لِصَوْتِ الدّمَاءِ وهِي تنادي ؟ — هَلْ لَهَا بَيْنَنَا قُلُوبٌ قويه ؟

**محمد أحمد ساسي**

# خطوط فوق جدران الجحيم

قصة : حياة بن الشيخ

دخل الحانة حانقا وشعور بالتعاسة يخنقه . بحث بعينيه عن مكان قصي يرتكن اليه . يلقى فيه بهموم يومه . لا مكان يبدو شاغرا . الموائد كلها محجوزة . داعبت أنفه رائحة السجائر المحترقة . قرر العودة من حيث أتى ، لكن رائحة التبغ جذبته اليها وضيق مؤلم سد أمامه سبل الفرار . تبع خطى نظراته . قادته أخيرا الى ركن منعزل حيث قبع عجوز امام زجاجة نبيذ يشرب فى هدوء . ابتسم مستأذنا فى الجلوس . جلس ونظرة العجوز تشجعه مرحة . ابتسما . طلب زجاجة جعة . زاد أخرى . دخن آخر سجارة فى حوزته . النقود فى جيبه قليلة ، قليلة جدا . والجعة فى طريق الغلاء ، بل كل شىء فى سبيل الغلاء . وهو يعلم جيدا أنه غير قادر على السباق معها لكن الهموم تهصره بلا رحمة . المكان لا يشكو الفراغ . اذن من أين لهؤلاء بكل هذه النقود التى يبعثرونها ؟ عاد العجوز يبتسم اليه وهو يرتشف من كأسه بلا مبالاة ..

— يبدو أنك وصلت الى مرحلة من العمر لم تعد تطلب من الدنيا شيئا . أليس كذلك يا سيدى ؟ حان لك ان تعرف الراحة ..

— أوف ..

— يبدو وكأنك ارتديت حلة القناعة والاستسلام .. حتما اخذت حظك من الحياة .. انما نحن ، نحن الذين لم نبدأ بعد رحلة الحياة ..

— أوف ..

— هل تعرف ، مزية الخمرة انها تجعل المرء ينظر الى متاعبه وكانها لا تمت اليه بصلة . لكنها لم تعد مباحة للجميع . نقودى لا تفى بالرغيف . اخشى ان اكون على شفة الخراب .. هل سمعت بالمجاعة وأنت فتى ؟

ـ أوف ..

ـ كاد يصدمني بسيارته الفاخرة . لم يعرفني من أول وهلة . لكنه بعد عناء تذكر سحنتي المريضة . كان جاري . سكن دهرا معي في احد الاحياء الشعبية . بيت ضيق وأم وأطفال وتجارة لا يكسب منها الا ما يغلق بـه فم الزوجة الصارخ دوما . ارتحل يوما ولم نلتق . واليوم بعد ثـلاث سنـوات . ثلاث سنوات فقط أراه في أبهة مفجعة . سيارة فاخرة وخاتم ماس في الاصبع وبدلة مستوردة ورائحة عطر ذكي تفوح منه .. شـد مـا تغيـرت الاحـوال بالنسبة له ..

ـ أوف ..

ـ يقول اصبح مديرا مسؤولا. عن ماذا ؟ لا أدري..لم اسأل : أين ؟ الصدمة سلبت عقلي . كيف يصبح الناس اثرياء بين سنة وأخرى . يلـزمني عشـرة صناديق جعة أشربها دفعة واحدة علني أجد جواب ذلك ..

ـ أوف ..

ـ أتعرف ما قاله لي ؟ يا للحديث الذي ما زاد الا في انحداري ..!

ـ تحسنت الامور والحالة غدت حسب ما اطلب . اشكـر الظـروف التي خـدمتني ..

ـ الظروف الى الآن لم تقدم لي شيئا . ان صادفت وحاولت التقدم بي تجد دوما من يقف في سبيلها حجر عثرة ..

ـ لا تحزن ، ستجد فرصتك في يوم ما ..

ـ متى ؟ لا أخال هذه الفرصة آتية . كأن الحظ وزع ولـم يعـد لي نصيب فيـه ..

ـ اقبل القليل حتى يأتيك الكثير . حكمة قديمة لا تهمل ..

« يا للحكمة الآتية من رأس لص شبح ! ارتقى ووصل ولا من يدرى كيف ؟ كيـف ؟. »

ـ اذكر أيام الفقر والجوع فيقشعر بدني . أزمة رحلت مع الزمن الغابر ..

ـ لكنها بالنسبة لي لم ترحل مع الزمن الغابر . هي أزمة متجددة ، راسخة مدى رسوخ قدمي على ثرى الحياة .

ـ الحقيقة كنت دوما كثير التشاؤم لا تعرف كيف تعيش ولا كيف تتصرف لتصل الى ما تريد .. أنت تفهم ما أعني . لا تكن غبيا . الحياة فن . إن درست

أصول هذا الفن وصلت الى النجاح ، والشهرة والمال فافهم ما أقول ..

ــ في الحقيقة اني في تعس لا يترك لي فرصة التفكير .

ــ أرأيت ما حقق من انجازات وما لحق المدينة من تطور ..؟ الازدهــار في أوجــه ..

ــ ولكنني ما زلت حائرا في القوت اليومي .

ــ يجب أن تفكر في المجموعة لا في الفرد ..

ــ وأنا ألست من هذه المجموعة . خوفي ان نكون انقسمنا الى مجموعتين . مجموعة تعيش وتكسب واخرى تكتفي بالمشاهدة والتحسر ..

ــ قلت لك : لا تحزن وكن مؤمنا . ستأتي فرصتك في يوم ما . اليأس هو عدو الحياة الاول . أمامي اجتماع عاجل .. أتركك بخير ..

ــ آه يا سيدي ، ترى كم زجاجة جعة سأشرب حتى أجد جواب اسئلتي ..؟

ــ أوف ..

ــ لست أدري ماذا يفعلون حتى تتغير أحوالهم بهذه السرعة ؟ ربما حالي عدم لأني لم استطع الى الآن أن أصبح مسؤولا .. وسأصبح مسؤولا أين ؟ لا يهم في الجحيم ، في غيره ، في أي مستنقع به ثروة ..

ــ أوف ..

ــ أظن أنه لم يعد لي مكان في هذه المدينة.أأخرج مدحورا من أرض أجدادي؟

ــ أوف ..

ــ ربما بيعت الارض ونحن لا نعلم . بيعت المدينة واشتراها الغير . كل ما فيها يدل على ذلك . لم نعد نستطيع مواكبة خطوتها ..

ــ أوف ..

ــ وغدا ان جاء صاحبها يريد انتزاعها ، ما علينا ساعتها لم يبق لنا غيــر الانسحاب . لكن من قبض الثمن ؟

ــ أوف ..

ــ يقولون حسبنا التغني بالامس المفقود ولنفكر في الغد الموعود . لكن أين هو الغد الموعود !؟ مهما كان أخالني سأبقى سجين القاع.هذا الغلاء الفاحش، والفرص المحتكرة لا تدفع بنا لغير القاع ..

ما رأيك في ذلك يا سيدى ؟ لا تجيب . لك الحق . وماذا يهم رأيك أو رأيي ، هل سيغير رأينا وجهة التاريخ أو يحدد مسيرة العالم ؟ على كل سنة أخرى ولن نقدر على المكوث هنا . لا بد من التفكير في الهجرة . كما قلت لك : كل ما في هذه المدينة يشهد انه لم يعد لنا شيء فيها . سعيد انت تتدثر بعباءة شيخوختك ، إنما أنا .. يا للدهر الطويل الذى ما زال أمامي ! كم سأحتمل وكم .. سيدى الا تسمع ما أقول .؟ سئمت شكواى كما سئمنا نحن الكلام المعاد والوعود المجترة دون ان تأتى فرصتي المنتظرة ولا وجدت دورى في هذا البلد . تخامرنى فكرة لو أصبح بهلوانا . أحسن مهنة تدر الاموال الطائلة وتفتح امام صاحبها ابواب الرزق ..

أليست فكرة معقولة . العالم الآن لا يصفق الا للبهلوانات ، فلأجرب حظى ربما أصبحت زعيما لبهلوانات هذا البلد .. ما رأيك يا سيدى ؟

وقف مذعورا . رجه من كتفه بعنف . سقط رأسه على صدره وشحوب قاتل يغزو تجاعيد وجهه النحيل . عوت الجعة في حلقه كذئب يقتل غدرا . دفعه النادل نحو الحائط زاجرا ..

ـ ألم تر انه ميت .. مات الرجل ..

ضرب بكفه على الطاولة . وقعت القوارير ارضا . تراخت مفاصله وخارت قواه . مادت الارض تحت قدميه ودوار رهيب يلفه . اخذته نوبة قيء .. قال النادل بهدوء :

ـ عليك بلفحة هواء .. ستتحسن بعدها الحال .

ـ أوف ..

ـ لكن ، ما الذى قتل الشيخ المسكين ؟ أسكتة قلبية أم ..؟

ـ أوف ..

ـ لحظة سيدى .. سآتيك بفاتورة الدفع . سأضم حسابه الى حسابك . من سيدفع عنه اذن ؟

ـ كان يجب ان يدفع قبل ان يموت . هذا تهرب من الدفع بطريقة غير شرعية ..

ـ أوف .. أوف ..

سقط على الارض مغشيا عليه وغيبوبة رحيمة تنتشله . تقذف به في عالم ضبابي مريح . لكن النادل راح ليأتى بورقة الحساب ..

**حياة بن الشيخ**

# ويُجاهد المعلّم أيضاً

شعر: محمد الأغبج

لاَ السُّرى نالـه ولا الإعْيَـاءُ        هو في سيره الوئيد ذُكـاء
مُقْبِلٌ كالشعاع في بسمة الفجـر        ضياء بَلْ مِشعلٌ وَضَّاء
ينشر النُّور والمعارف أنَّـى        ضُمَّ حَشْدٌ أو فاضت الأرجاء
لم يَهِنْ عزمه ولن يتـوانى        في بِنا الجيل أن يُقام البنـاء

* * *

يا رفيقي والدَّرْبُ مسْرَاهُ مضنٍ        والليالي مثيرةٌ ظلمـاء
والظّلام الكثيف يحجب دربي        والرياح (!) مُخيفَةٌ رَعْنَاء
ونداء الضمير يَقْرَعُ قَلْبِـي        أيّ قَرْعٍ ! وَكَمْ يَهُولُ النّداء!
والعناء العناء يأكل لحمـي        ودمائي وما انتهى الإسْرَاء
والجهاد الموفّق اليوم حَزْمٌ        واندفـاع وقدرة وفنـاء
واكتساب الجديد علما وفَنّـا        وطريفا ليسموَ الابنـاء

* * *

يا رسولَ الجهاد في كلّ جيل        ونبيّا اذا مضى الانبيـاء
أمَلُ الشعبِ طوع أمرك فاصنع        مَاتَرَاهُ فالخير فيما تشـاء
وارْعَ عهدَ الإلاه في كلّ طفل        فالأمانات ذِمَّـةٌ وأداء
أنا أفديك يا بلادي بروحي        ودمائي وَهَلْ تعزّ الدّمَاء !

* * *

في الحقول الفساح غَذّيتُ شعبي   فاذا الحقل جنّة خضـراء
واذا الروض كابتسام العذارى   ومن الحسن مَا سَبَتْ عذراء
الربوع المضمخات حُبَالى   والازاهير روضة غناء
والشحارير هزت الأفق لحنا   والغصون المثقلاتُ رُوَاءُ
يا رفيقي والروض زاهٍ وَمُغْرٍ   حيثُ فيه الظِّلالُ والأفياء
الشذّى يملأ النفوس ارتياحاً   والريَّاض (!) عَوَابِقٌ فيحاءُ
والربيع الجميل دنيا من السِّحْر   تغنّت بساحها الورقاءُ

* * *

يا رفيقي في الدّرْبِ والعمل الخَلاّقُ بَذْلٌ لَمَّا يزَلْ وعطاء
وانتشال الأطفال من كبوة الجهل انتصار وعزّة قعساء
مَعْمَلٌ أنْتَ للعقول عجيب   وسمو اذا سما الأبناء
وانفتاح على المحيط لنشءٍ   قيدته برامج بَتْرَاءُ
فالمهارات في الحياة جمال   وهي للطفل مَكْسَبٌ بنَّاء ،
يبتني للحياة عزّا علا الشُّهبَ وعزّت بمثله الخضراء
مَعْمَلٌ – قطّ – لم يُدَنَّس برجْسٍ   أوْ خَبَتْ – بَعْدُ – نَارُهُ الحمراء
فعليه من القداسة بُرْدٌ   ومن النّور والجلال بَهَاء

* * *

كم شدونا مع الصغار نشيداً   فيه سحرٌ وَمِنْهُمْ إغْرَاءُ
وَفَحصْنا من النصوص ضروبا   وانتشينا بما شدا البُلَغَاءُ
وأدَرْنَا من الكلام فنوناً   وأثرْنَا وكان منَّا الثَّرَاءُ
واْقَمْنَا من العقول النِّتوَاءً   وصقلنا وَمَا اعترَانَا عَيَاءُ

* * *

مَعْبَرٌ أنت يارفيقي لجيل     وجيل وما انتهى الإرْسَاءُ
وازدهار الشعوب حفظ علوم     في بقاها بها يكون البقاءُ
وَسَمُوّ الأخلاق فيها سَجَايَا     وبها للشعوب كان ارتقاء
وكتاب الرحمان مازال فينا     منبعا لا يزال منه ارتواء
فاحفظوا آيَهُ ففي لغة القران للعرب وحدة صَمَّاءُ
لغة ترتجي الحياة اذا ما     بعثوها فذاك .. ذاك البقَاءُ
واذا ما قنعنا بها وانكمشنا     فعليها مع الزمان العفَاءُ
واكتساب اللغات شيء عجيب     وامتزاج اللغات لهو النّماءُ
إنّما العلم في الحياة سلاح     عبقريّ وقوّة وَمَضَاءُ
علّموا النشء كيف يرقى المعالي     أشعُروهُ . فكلُّنا شعراء

**محمد الأغنج**



## دواوين من مكتبة الشعر التونسي الحديث

# «الروح» في التراث الإسلامي

بقلم : الشاذلي الساكر

## الروح في القرآن والسنة

**أولا :** معانيها : ذكرت الروح في القرآن الكريم على عدة أوجه وهي :

أ) في معنى الوحي : في قوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ...» وقوله تعالى : «... يلقى الروح من أمره على ما يشاء من عباده ...» .

ب) في معنى القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها سبحانه وتعالى من يشاء من عباده المؤمنين : «أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ...» .



ج) وهي مرادفة لجبريل عليه السلام كقوله تعالى «... نزل به الروح الامين على قلبك» .

د) الروح التي سأل عنها اليهود قصد التعجيز وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله «... يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون ...» وفي قوله : « تنزل الملائكة والروح فيا باذن ربهم ... » أما الآية التي لها دلالة أدق على محاولة تعجيز اليهود للرسول فهي قوله جل وعلا : « ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

هـ) وهي مرادفة للمسيح عليه السلام كما قال تعالى : «... انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ...» .

أما الروح البشرية فلم تقع تسميتها في القرآن الا بالنفس . قال الله تعالى: « يا أيتها النفس المطمئنة ...» وقال : «ولا أقسم بالنفس اللوامة ..» وقال :

«ان النفس لأمارة بالسوء ...» وقال : «... أخرجوا أنفسكم ...» وقال : « ... ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ... » وقال : « ... كل نفس ذائقة الموت ... » أما فى السنة فجاءت بلفظ النفس والروح .

**ثانيا :** خصائصها بالرجوع الى القرآن والسنة : النفس ذات قائمة بنفسها لا تموت ولا تفنى ولا تضمحل : قال الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله ، أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ...» . وهى أسرع شىء حركة وانتقالا وصعودا ونزولا واتصالا وانفصالا وخروجا وذهابا ومجيئا وانطلاقا . قال الله تعالى : « ولو ترى ان الظالمين فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم أخرجوا أنفسكم ...» وقال : «... يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ... » وقد وصفها الله تعالى بالتوفى والامساك والارسال والدخول والخروج والرجوع والتسوية وهى تفارق جسدها وهى على قيد الحياة كما يحدث ذلك فى النوم وقال الله تعالى : «الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ...» . وللروح قابلية للالم والعذاب والحسرة والمرض كما لها قابلية للراحة واللذة والنعيم . وتنقسم النفوس الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية . وهى تتأثر ببدنها وتأثر فيه ، فيكتسب البدن الطيبة والخبث من طيبة النفس أو خبثها كما أن العكس ممكن وأن أشد الاشياء ارتباطا وتفاعلا هما النفس وجسدها ، لكن هذا لا ينفى أن للنفس شأنا غير شأن الجسد أثناء اتصالها به .

وللنفس بعد مفارقة الجسد صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها وهى متصلة به . وليس لها مستقر واحد ، بل نفس فى أعلى عليين وأخرى فى أسفل المستويات . والنفس محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة مملوكة محاسبة ومجزية بعملها : «كل نفس بما كسبت رهينة ...» . وأن النعيم والعذاب على النفس والبدن معا . والنفس تنعم وتعذب منفردة . وقد سبق خلق الانفس خلق الاجساد كما هو ثابت فى الاحاديث الصحاح .

**خواص الروح عند المفكرين المسلمين :**

1) **الامام الغزالى :** يقول فى كتابه (المضمون الصغير) : إن الروح ليس بجسم يحل حلول الماء فى الاناء ، ولا هو عرض محله القلب والدماغ ، ولا هو حلول

السواد فى الاسود والعلم فى العالم ، بل هو جوهر وليس بعـرض ، يعـرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات . وقال فى كتابه (الاربعين فى أصول الدين) : الروح لا تفنى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت حالها فقط ويتبدل منزلهـا فترتقى من منزل الى منزل وان الحقيقة التى أنـت بها أنـت فلا تفنى بالمـوت أصلا بل يتغير حالك فقط وتبقى جميع معارفك وادراكاتك الباطنة ٠ وقال فى كتابه (مدارج القدس فى معرفة النفس) : مكونات النفس تشتمل على أمرين :

أولهما : الصورة الحسية البدنية بغرائزها الارضية والحيوانية :

وثانيهما : الجوهر الكامن فيها والذى هو المحرك لها والمدبر لامرها ٠

وتختلف صفات النفس طبقا لمنازعها واتجاهاتها ٠٠٠ فاذا اتجهت الى الرشد والصواب ونزلت عليها السكينة الالهية ، فهى حينئذ النفس المطمئنة ٠ وقد تكون مع غرائز البدن والقوى الحيوانية فى صراع ، فتارة تكون لها الغلبـة على تلك الغرائز ، فهى عندئذ نفس لوامة ٠٠٠ وهى حالة أكثر الخلق ٠٠٠ أما حين تغلبها صفاتها الحيوانية فترضخ لها تماما فهذه هى النفس الامارة بالسوء ويمكن أن ندرك أن النفس جوهر منفصل عن البدن ٠ من أن الانسان لا يغيب عن الشعور بذاته ٠٠٠ فهو دائما حاضر مع هـذه الـذات ٠٠٠ وفى النوم حين تكون الاعضاء البدنية فى شبه موت لا حركة لها نرى النفس فى المنام تنهض وتتحرك ... وتسافر وتتصارع . فهى ليست مادة ... وليست جزءا من الجسم الذى هى فيه ٠ ويرى الامام أن النفس ليست جسما ماديا لانه لو كانت كذلك فانها إما أن تكون ممادتها داخل الجسم أو خارجة عنه . فـان كـانت خارجة عنه فكيف تؤثر وتتصرف فى ذلك الجسم ؟ وان كانت داخل البدن لكان ينبغى اذا قطع من البدن طرف أن تنزوى النفس التى كانت بذلك الجزء وتنتقل من عضو الى عضو ، وذلك لا يحدث بل النفس تظل على قواها . فلـو قطعت يد انسان أو رجله فان قواه العقلية تظل بلا نقصان ٠ ولو كانت النفس الانسانية منطبقة فى البدن لكان يضعف فعلها مع ضعف البدن أو مرضه ولما كانت النفس ليست مادة يجرى عليها ما يجرى على المادة فهى لا تضعف ولا تمرض ولا تشيخ ...

وللنفس وظيفتان ، وظيفة فى تصـريف البـدن ، والـوظيفة الاخرى فى سياسة الحياة والامور العقلية ، والوظيفتان تحتاجان الى توازن فى النفس وفى الاداء فزيادة اقبالها على عالم الحس يقلل من ممارستها للامور العقلية .

ويقول الامام : تختلف النفوس فى ممارستها لوظائفها فأعلاها أن تكون مشرقة مضيئة كزيت مضيء ولو لم تمسسه نار . فتسبح هذه النفس فى عالم من الصفاء ، ويكون لها فيض متواصل تتلألأ فيه الانوار التى تفيض عليها من الملأ الاعلى . فهذه النفس كانما قد نفضت عنها بشريتها الهابطة واتصلت بعالم القدس ... حتى لقد يستوى امر هذه النفس فى ملابستها للبدن ومفارقته له فهذه النفس تحكم البدن تماما وليس هو الذى يحكمها .

2) **الجرجاني** : يقول فى (التعريفات : مادة النفس) : **النفس هى الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية فهو جوهر مشرف للبدن وعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه . وأما فى وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه . فتثبت أن الموت والنوم من جنس واحد ، لان الموت هو الانقطاع الكلى والنوم هو الانقطاع الناقص . وثبت أن القادر الحكيم** دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب كان أو لها **بلوغ ضوء النفس الى جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة ، وان انقطع ضوؤها عن ظاهره** دون باطنه **فهو النوم ، أو** بالكلية **فهو الموت** .

3) **اخوان الصفا** : بالنسبة لهم ، اسم الانسان واقع على النفس والبدن . **فأما البدن فهو الجسد المرئى المؤلف من اللحم والعظام والعروق والعصب والجلد وما شاكله وهذه كلها أجسام أرضية مظلمة ثقيلة متغيرة فاسدة وأما النفس فانها جوهر سماوية روحانية حية نورانية خفيفة متحركة غير فاسدة علامة دراكة لصور الاشياء،إن مثلها في ادراكها صور الموجودات من المحسوسات والمعقولات كمثل المرآة ، فان المرآة اذا كانت مستوية الشكل ، مجلوة الوجه تتراءى فيها صور الاشياء الجسمانية على حقيقتها . واذا كانت المرآة معوجة الشكل ، أرتنا صور الاشياء الجسمانية على غير حقيقتها ، وايضا ان كانت المرآة صدئة الوجه . فانه لا يتراءى فيها شيء البتة .**

4) **المجريطى** : يقول فى (الرسالة الجامعة ج ١) : **النفس وهى من الجسم مصدر الحركة والعلم ، جوهر روحانية نورانية ، شفافة حية بذاتها ، علامة ، فعالة قابلة للتعلم ، فعالة فى الاجسام ومتممة لها الى وقت معلوم .**

ثم ان النفس تدبر الجسد وتعمل بواسطته،والنفس واحدة وأن تعددت قواها، **وان أخذت صفات وأسماء فذلك يجسد ما يظهر منها بالافعال . فاذا قامت النفس فى الجسم بعملية الغذاء سميت النفس الغاذية واذا فعلت فى الجسم**

الحس والحركة فتسمى النفس الحيوانية واذا فعلت الفكر والتعبير فتسمى النفس الناطقة .

5) **الامام شمس الدين أو عبد الله ابن قيم الجوزية :** يقول فى كتابه «الروح» : « انه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء ، ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة بقى ذلك الجسم اللطيف متشاركا لهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية ، واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح ... » .

6) **ابن مسكويه :** الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الاعضاء التى يسمى مجموعها بدنا كما يترك الصانع استعمال آلاته ... وإن النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضا وإنها غير قابلة للفساد وانذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن متباين له كل المباينة بذاته وخواصه وأفعاله وآثاره فاذا فارق البدن على الشريطة التى شرطها من الخير بقى البقاء الذى يخصه ونقى من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه وعدمه



**الروح عند الاطباء المسلمين :**

**ابن النفيس :** يقول توجد الروح النفسانية فى بطون الدماغ وتصل الى الاعضاء عن طريق الاعصاب وتصعد هذه الروح من الروح الحيوانية الكائنة فى القلب الى الدماغ عن طريق الشريان السباتى وتنقسم الى النسيج الشبيه بالشبكة فتنمو وتصبح عندئذ الروح النفسانية ، وتقع هذه الروح فى البطن الخلفى للدماغ وتتحكم فى الحركات والذاكرة ، بينما تتحكم التى تقع فى البطن الامامى بالحس والادراك أما الموجود فى البطن الاوسط فتتحكم فى التفكير .

**اثبات الروح أو البرهنة على وجودها عند ابن سينا :**

**البرهان الاول :** ان الجسد يتغير (ينمو بالغذاء ويهزل بالمرض ، أو يبطل عمل بعض أعضائه .. ) اما ادراك الانسان ( شعوره ببقائه وتذكره لما مضى من عمره ومعرفته بالمحسوسات والمعقولات ٠٠٠) فلا يتغير بذلك ٠ فهذا دليل

على أن الذات ( النفس العاقلة ) مغايرة للبدن ولاجزائه الظاهرة والباطنة . ففينا شيء اذن غير الجسد ذلك هو الروح وقد قال فى ذلك : «تأمل أيها العاقل فى أنك اليوم فى نفسك هو الذى كان موجودا فى جميع عمرك حتى أنك تتذكر كثيرا ما جرى من أحوالك فأنت اذن فى ثابت مستمر ولا شك فى ذلك وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتا مستمرا بل هو أبدا فى التحلل والانتقاص ، ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه » .

**البرهان الثانى :** بينما يفقد الانسان عضوا من أعضائه يبطل الحس المتعلق بذلك العضو (ففقدان الاذن أو تلفها يؤدى الى بطلان السمع ... وهكذا) ولكن ذاته (نفسه العاقلة) لا تتأثر فى معارفها بشىء من ذلك.ثم إن حواسنا الخمس تضعف عادة اذا ضعفت أعضاؤها بالهرم أو المرض أما الادراك فلا يضعف ضرورة مع المرض أو الهرم بل ربما زاد . وقد يفكر الانسان أو يفعل وهو غافل عن أعضاء بدنه وحواسه ولكنه لا يغفل عما هو بسببيله من التفكير .

**البرهان الثالث :** ان الانسان يظل يشعر بوجوده ولو لم تكن حواسه الظاهرة تمس شيئا ومثال ذلك لو أن انسانا خلق دفعة واحدة وكاملا ثم حجب بصره أيضا ، وكان يهوى هويا لا تتلاقى فيه أعضاؤه ولا تتماشى.ولا كان ثمت هواء فى الفضاء يصدم جسمه (أو فى الفضاء هواء ولكن لا يكفى لان يصدم جسمه صدما يحس به) فان هذا الانسان الهاوى فى الفضاء يظل مثبتا لذاته ومدركا أنه موجود .

**البرهان الرابع :** ان ادراكنا للمعقولات (الصور المجردة) التى لا تدرك بالحواس أصلا (الشرف الخير ، الاعداد وتفويقها ...) يدل على أننا أدركناها بشىء من جنسها وليس بحواسنا (لان حواسنا لا تدرك الا المحسوسات المادية) فيجب أن نكون قد أدركناها بنفسنا ولذلك كانت نفسنا روحانية مثل تلك المعقولات (المجردات) التى أدركناها ثم ان الحواس تدرك أشياء قليلة (معدودات محدودة وموجودة فى نطاق معين) بينما نحن ندرك بالنفس معقولات لا حصر لها ولا حدود لها اننا نبصر جبلا صغيرا أو جزءا من بحر أو عدد معين من النجوم ولكننا ندرك بالنفس عظم الجبل ومدى البحر وعدد النجوم الذى لا يحصى .

تعرضنا في هذه الدراسة الموجزة الى أهم ما قاله الاسلام ومفكروه في تعريفه للروح وعددنا أهم ـ أو على الاقل أشهر ـ البراهين التى وضعت للتدليل على

اثباتها • طبعا توجد بعض المفاهيم أو الملاحظات أو الادلة التى أهملناها لكنها لا تضيف كثيرا لما تعرضنا اليه • بقى أن نعرض بعض الاستنتاجات استوحيناها من دراستنا لموضوع الروح فى الاسلام بصفة عامة •

لم يوجد عند المسلمين علم نفس بالمعنى المتعارف عليه اليوم بل شذرات واشارات هنا وهناك أو بعض الفصول أو الابواب متفرقة فى ثنايا كتب الفلسفة والادب وجلها ذات صبغة دينية أو فلسفية ، تتخللها الاشعار والامثال والشروح الماورائية وتقدم عادة فى قالب قصصى ، وقد تأثرت بالدراسات الفلسفية الاغريقية عموما وبارسطو خصوصا • أما المباحث التى امتاز فيها الاسلام ولعب فيها دور الريادة هى ما يسمى اليوم بـ « البارابسكلوجيا » (الدراسات ما بعد النفسية) • لقد استفاد الاسلام فى هذا المجال بالدراسات التى سبقته لكنه لم يقف عندها بل اختلف اختلافا بينا مع ما سبق أن توصلت اليه الحضارات السابقة ، معتمدا على ما جاء به القرآن الكريم والسنة فى هذا المجال بالاضافة الى ما يسمى بالسلف الصالح (ابن تيمية ، والمحاسبى والمكى أبو طالب ... ) والى التيار الصوفى .

وقد خصصت لها كتب مفردة منها «مدارج القدس لمعرفة النفس» للغزالى وكتاب «الروح» لابن القيم الجوزية • • • كما خصصت لها دراسات ممتازة كما فعل ابن الجوزى فى كتابه «الاذكياء» وابن سينا فى كل أعماله وابن طفيل فى كتابه «حى ابن يقظان» • وهذه المباحث اعتنت بالخصوص بأصل الروح وبمصدرها وبجوهرها وبمراتبها وأحوالها من ادراكية ووجدانية ونزوعية كما أطنبت فى تفصيل خصائص النفس اللوامة والمطمئنة والامارة وقد أجادت فى البرهنة الشرعية والعقلية والحدسية على وجودها وفى تحليل حالاتها بالاخص حالة السكر الصوفى • بايجاز لقد استنبط الاسلام «البارابسكلوجيا» ولو استعمل الطرق التجريبية الحديثة لبلغت به درجة الكمال .

ومن الملاحظ أن الاسلام بصفة عامة لا يفرق بين الروح والنفس وقد لخص الجرجانى فى «التعريفات» ما اتفق عليه جمهرة المسلمين فى هذا المجال : « الروح الانسانى هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان الراكبة على الروح الحيوانى (النفس) ، نازل من عالم الامر تعجز العقول عن ادراك كنهه ، وذلك الروح قد يكون مجردا (من البدن) وقد يكون منطبقا فى البدن (وهو النفس)» •

**الشاذلى الساكر**

# ثقوب في ظهر المدينة

قصة : مختار الزواري

وانتهت الحصة المسائيــة .. فسقطت أصوات الآلات فـى استرخـاء صاخب .. وسيظل صاحبنا حتى الصباح .. فى رأس سامية ..

حركات آلية سريعة جافة ... وفتحت عينيهـا .. فاذا الشــارع الممتد تجرحـه سياط الريـاح ..

ـ ساميــة .. الـى أيـــن ؟

ـ تسأليــن .. ؟

ـ ألا تنتظرين معى ؟.. انه قادم على سيارته .. نوصلك الى منزلكم ..

ـ من القـــادم ؟

ـ ألا تعرفيـــن .. ؟

ـ مـــن ؟ خطيبـــك .. ؟

ـ سيكون خطيبـــى ..

ـ رقم .. عشـــرة ؟

ـ سنمضى السهرة فى فيلته الجديدة .. بل قولى : فى قصره الجديد ..

ـ هنيئا لك بالقصر الجديد .. سهرتك سعيدة ..

وتزاحمت خطواتها عبر الوتر المشدود عـلى قـوس الجسـد المنهـك .. وامتدت اليد الوردـيــة ..

ـ سامية ٠٠ الا تذهبين معى ؟ افهميني ٠٠ نحن ولدنا فى بيوت يعشعش فيه الصياح والقلق والرطوبة ٠٠ هل قدر لنا ان نبقى فى السفح ؟ أليس من حقنا ان نرفع أبصارنا ونصعد الجبل ؟؟ ٠٠

ـ تصبحيـن على خيــر ..

وسارت ٠٠ ولم تجرؤ الشفتان الورديتان ان تتحركا ٠٠ ابتعـدت وعند المفترق رمقت السيارة الفخمة ووجهين ضاحكين .. ولم تلتفت ..

فكرت : هن كما يريد الليل بـلا عينيـن .. بلا شفتين .. بلا تـاريخ .. بـلا نسبــة .

عضت شفتها الحزينة ونكست رأسهـا .. تمشى .. دون ان ترى شيئـا مما حولها او أمامها .. وهـى تعلم ان عيونا كثيـرة تخترق سحب الريـاح لترمق وجهها القمحـى الساحـر ..

عتمة المساء تغشى الكـون .. وخطواتها تلتهب تحـت اضـواء مصابيح الشارع .. وفكرت : الشارع طويل وعلى ان اسرع رغم البرد .. من يدرى بما يخفيه الظلام من المفاجآت غير السارة ..

خطواتها تلتهب على الرصيف ٠٠ وتدفع سياط الرياح الباردة ٠٠ ستصل الى البيت حتما .. وتدفع عنه الكثير من قلق آخر الشهـر ...

وستدعو لها امها بأجمل ما سمعت من الدعاء ..

وتساءلت : ترى هل أجد أبى هناك ؟ ..

عندما بلغت بداية النهـج المؤدى الـى الحـى تذكرت فاطمة وعشقهـا للشكلاطة وقفت عند دكان عم مبروك واشترت ثلاث قطع ثم سارت بضـع أمتار .. توقفت ثانية طرقت البـاب . انفتح واطل وجـه فاطمة الصباحـى الهادىء .. وصاحت والفرحة فى عينيهـا الخضراوين معلنة قدوم أختها .. وفكرت : تفرح لقدومى كل مساء بكل هذه البراءة وكل هذا الصدق .. وأنا لا أستطيع لها شيئـا ...

واقتربت من الحجرة .. ووراءها صوت شفاف كاوراق الورد ...

ـ أمي تصلى ... وابى لم يأت بعـد ...

ورددت : لم يأت بعد ...

جلست على حافة السرير وضمتها اليها ...

ـ هذه لك وهاتان لاحمد وطارق ....

والتقت نظراتهمـــا ...

فكرت : أنا متأكدة ... خلف نظـراتها الضاحكة حمـل ثقيـل مـن الاحزان .. وتأملت امها وهى تصلـى . ثم وهـى ترفع يديها الـى اللـه .. وغمرها احسـاس دافـىء .. من رأسها الـى اخمص قدميهـا .. احساس أكسبها الامن والطأنينــة .

ـ تقبـل اللـه ...

ـ منا ومنك العمل الصالح .. سامية انزعـى حـذاءك وهيـا اجلسـى بجانبـى .. ونزلت بجانبها .. فتحت حقيبتها ووضعت بين يديها مرتبهـا هذا الشهر ..



وفكرت : هل هذا المبلغ كاف لقضاء ديوننا ؟ ـ ديوننا لا تنتهى .. تريد ان تقول شيئا .. ان تأسـف .. ان تتمنى . لكن صوتهـا انحبس فى غفوة تغرز انيابها فى لحمها .. فى دمهـا ...

توسدت فخذ امها .. واسبلت جفونها ...

ـ ما لك يا ابنتـــى ؟

ـ أنا متعبة .. أحس بأنى متعبة حتى الموت .

وأورقت فوق جبينها يد .. كف .. معطرة برائحة الدفء .

وبكت .. بكت كطفلة صغيرة تعشش الاساطير فى عينيها وشفتيها ..

ـ تبكيـن ؟ .. لماذا البكاء ؟..

ـ أبكى لانى حقيرة .. تافهة ..

ـ لا .. لا .. هذا كلام غريب ..

ـ هو الحق .. مزق كفك طبق الغسيل زمنا طويلا ولم تقولي يوما : انك متعبة .. كنت تبتسمين .. تزرعين فى وحشة البيت دفء الزهور .. يذوب الثلج بين شفاهنا عند المساء ويعود دفء الحياة على محيا الدار .. لم تقولى يوما انك متعبة .. وأنت متعبة حقا .. اين آلة الخياطة من طبق الغسيل ٠٠ بساط البرد القارس ؟٠٠

أبتى .. أبتى ليتك تدرى ..

نادت فانكفأ النداء ٠٠

بيننا ظلام الليل الاخرس ...

الجلسة الخمرية شبح يخشى النهاية .. لا يمر فى خاطر ابيها وجلاسه آهة من الآهات ! ولا معنى للميلاد .. ولا معنى للموت ...

وفكرت : السكير لايملك قلبا بشريا .. ليس بداخله ضمير .. السكير يهتك عرضا كل ليلة ويقتل اطفالا كل ليلة فى غرف كانها بلا سقف وبلا جدران لكن ابى ليس سكيرا ... ابى يركض فى صحراء الهجير يبحث عن القرار ...



وهمست : ابى يركض فى صحراء الهجير يبحث عن القرار ...

وغمغمت الام : لا افهم ٠٠ لا اعلم ٠٠ ولا ادرى ماذا اقول لاخوتك الصغار !

اخوتها الصغار يهزهم السؤال الحائر مساء صباح من عيونهم .. من لحمهم من قلوبهم .. اين الحقيقة ؟ فى ركوعها على السجادة ام فى احتضانه القارورة ؟.. قالت الاخت : القارورة صديدية .. وضحك الاخ الأكبر .. واقبلوا ينساءلون : لم يأت ؟ والتقت أعين عطشى ...

قبل منتصف الليل لم يأت .. وبعد منتصف الليل لم يأت .. وكان الليل طوفانا من الكوابيس ...

وعند الفجر لم يأت .. ودقت السابعة ولم يأت ..

ـ اذهبوا الى مركز الشرطة قالت سامية .. ابحثوا عنه .. وخرجت الى العمل اتجهت الى المعمل وفى الطريق استوقفتها امرأة تشهق .. تأملتها .. أم هادية صاحبة اليد المعجونة من اوراق الورد ..

ـ هل رأيت هادية ؟ .. هل تعلمين اين هى ؟ وقفزت الام تشهق ...

وفكرت : أليمة ساحقة شهقة الام .. ولكنها لا تسمع .. هل يفسر سوق الشاه الى المسلخ ؟.

عند مفترق الطرق ·· وجدت زحاما من الناس ·· قال احدهم : مسكين صدمته السيارة فشج رأسه . ! وقال آخر : هو سكير !

اصابتها رعشة عصرت قلبها ...

خطت بضع خطوات كالمعتوه .. اندفعت .. دراجته القديمة ملقاة على الارض .. وقفته القديمة تطل منها « القاميلة » ..

كذبت .. اشتهت ان تكذب .. تلمست الاشياء الندية .. فسقطت وفى قلبها اعصار الامس واليوم والغد .. رفعت رأسها الى نقطة بعيدة .. فرأت ثقوبا مخيفة فى ظهر المدينة .. وأحست بأصابع البرد تلفها ...

**مختار الزوارى**

# السندباد

شعر: محمد المهدي بن نصيب

– 2 – (*)

① نخلة « البركات » :

« هى نخلة يعتقد الاجداد ان من يعقد سعفة من سعفها يطول عمره وتتحسن حاله ... »

(1)

أجَرْجِرُ أرجوحةَ القدَمين علىَ جَبَلِ الوهْمِ .. هذا
عَثيرُ الرمال يُحاصر حَلقي
حَمَلْتُ حقائبَ مَحشوّة بالأسى
تمازج فيها بكائي وشوْقي !!
تَحَجَّرَ فى خَافقى الحُبّ .. هدّمَت الرّيح متحف عشقي
ومَاسَتْ غصون العذاب بدَهْري
فجئتك أقْذفُ آهة صَدْري
وجئتك أعْقِدُ من خوص نخْلك واحدةً كي أضيفَ لعُمْري
وجئتك أشربُ من جرّة العشق خَمْرَة صَبْري
فيا نخلة البركات ...
أبالزهد يَسْمحُ دَهري !؟

(2)

أيا نخلة البركات
أنا مَنْ جلَسْتُ بأروقة التيه اجْهَلُ أمْري

---

(*) انظر « الفكر » العدد : 2 ـ السنة : 28 ـ نوفمبر 1982 .

أنـا مـَنْ غـَرَفـْت من الـكـدرَ ـ الحُمق شـَنـَّة فـَقـْري
سُعـَيـْفـَاتـُكِ : الوجع المُرّ يمتصّ مني عصارة جُهدي
اجيئك حين التبـاريح
اجلس وحـْدي لدى جذعك الصُّلبِ .
يـَا نـَخـْلـَةَ البركـات اجيئك
احمـلُ فـأسي .. فعـي أنتِ قـَصـدى !!

* * *

② **مقاطـع من ترنيمـة الحـزن والدمـع :**

(1)

هنـاكَ ، وفي الأفـْقِ نجمٌ تـُؤرْجحه الرِّيحُ شـَرْقـاً وغـَرْبـَا
ينام على راحـة الليـــل ...
يغتـالـه الدَّهـرُ ...
يَحـْملُ فـَوْق الذراعين صندوق جـُثـَّتِه اللاَّمبـالي
يمدّ يـَدَيه من القـَبـْر يـَشـْهد ـ في السرّ ـ حُبـَّا
ويـُعـْلِـنُ ـ في الجـهـرِ ـ حـبـّا
ويحفـَرُ ـ في الصخر ـ دَرْبـَا
لينبتَ وسط الجِـرَاحِ ثمـارًا وعـُشـْبـَا
وقـَمـحاً وحـَبَّـــا
ويلقـى فتـاة مكوّرة النـَّهْـدِ ، منحوتـةً من ضيـاءْ
مُعـَفـَّرَةً بتراب الاغـانيِ ومسكونـة بالوفـَـاءْ
يُسربلهـا من رداء الشموسِ وشـَــاحْ

(2)

هنـاك ، وخـَلـْف المتاريس غـانيـة الشوق ترفـُلُ حُسْـنـَا
ولـكنهـا تتشكـَّلُ فى الافـْقِ ـ دمـْعـاً وحـُزْنـا ـ

**محمد المهدي بن نصيب**

تَحِزّ حبالُ المقاصِلِ منها الوَرِيدْ
تُقَصّصُ منها الماسيِ الجناحْ

(3)

جُموعاً من العاشقين نجيءْ
مُثقّبة في الرؤوس الوشاحات بالحُلْمِ
ممهورة بالضياء الجراحاتُ
من مُدُنِ الغيْمِ ... نأتي ..
أو في زمهرير الشتاءْ
سنوقد من حطب الحُزْنِ نار الجراحْ
ونزْرع فوق جبين الحياة زهورَ الصّبَاحْ .

(4)

③ أن تشرق الشمس :
قَسَماً بخصلة نور الشمس في الأفُقِ
بالأرض والحُبّ والأحلام والعَرَقِ
« بالنيل »... والعشق والآمال يا أمَلاً
قَدْ شَعّ في ليل هذا الدّهر ... بالفَلَقِ
بالشعب .. بالموج ... بالسفْن التي وقَفَتْ
في شاطىء الشوق ، بالأطفال ، بالألقِ
بالعامل الطيّب المسكين في وطني
رَغْمَ المَاسِي ، يُغَنّي حُمْرَة الشّفَقِ
بالطفل في عَمْق ليل الدّهر منتظراً
فَجرَ الرّفاق ، ونورَ الضوء في الغَسَقِ
أن تُشرق الشمسُ ، رغم العسف لاهبة
وتدْحَرَ الليلَ ، والديجورَ ، بالفلقِ

# الطلبة الجزائريون بتونس

## (1900 ~ 1962)

بقلم : محمد صالح الجابري

– 2 – (*)

فمن ابرز الشعراء الجزائريين الذين تخرجوا من الزيتونة ، وأسمعوا العالم أصواتهم من خلال الصحافة التونسية أولا ، ثم الصحافة الجزائرية فيما بعد ، وكان لهم دورهم المشرف فى الدعوة الوطنية ، والنضال ، ونالوا قسطهم من المحاكمات والتعسف والارهاب ، نجد جوقا متكاملا وخليطا متساجما من الاصوات الجليلة التى تفوق اصحابها ثقافة ونبوغا ، وفاجأوا بقصائدهم الثورية الرائعة العالم العربى ، فاستمع من خلالهم الى اناشيد الثورة ، واطلع من خلال قصائدهم على ملاحم البطولات والفداء ، وقرابين الشهداء التى قدمها المغرب العربى ثمنا لاصراره على التشبث بأصالته العربية . ليعد فى هذه القافلة : محمد العيد آل خليفة ، أبو اليقظان ، مفدى زكرياء ، رمضان حمود ، السعيد الزاهدى ، العيد الجبارى ، محمد خير الدين ، أحمد كنلون ، الاخضر السائحى ، عمر برناوى ، صالح خرفى ، صالح خباشة ، محمد الصالح باويه ، الاخضر عبد القادر السائحى..وآخرون.وعلى تفاوت ما بين هؤلاء وبين صيغ شعرهم ، وتنوع آرائهم وقوة جلادهم ، فان الانتماء الى الزيتونة هو الذى يجمع بين اصواتهم ويؤلف بينهـا .

ومثلما برز هذا الشعر ، ونفث فى الثورة روح الصرامة ، ونشر صوتها فى الاصقاع المختلفة ، فقد ساهم القصاصون الذين خرجوا من نفس المعهد بجهود متواضعة فى تطويع القصة للموضوعات الثورية الرائدة ، وعبروا من خلالها عن الثورة وأبعادها ، وصوروا معاناة الشعب الجزائرى لمختلف ضروب الظلم والطغيان ، وهو ما نجده بارزا فى تلك المحاولات التى قدمها كل من عبد المجيد الشافعى ، وعبد الله ركيبى ، وابو العيد دودو ، وعبد الحميد بنهدوقه ، والجنيدى خليفة ..

---

(*) تابع لما نشر فى «الفكر» : ع : 4 – س 28 – جانفى 1983 .

وقد تعززت هذه المحاولات الابداعية بثلة من الباحثين المفكرين الذين تناولوا فى كتاباتهم القضايا السياسية والاجتماعية والوطنية على مختلف الفترات ، ومهدوا بأعمالهم المحدودة الى خلق تيار فكرى يترجم عن المواقف السياسية المختلفة التى تنبع من قيم الجزائرى ، فكان ان اعتمدتهم الثورة الجزائرية فى حربها الاعلامية ، واصبحوا اطارها العلمى والجامعى والادارى فى مختلف الميادين الفكرية ، ومن بين هؤلاء بالاضافة الى الرعيل الاول الـذى يمثله بـن باديس ، ومبارك الميلى ، والسعيد الزاهرى ، وبوكوشة . نجـد احمد توفيق المدنى ، وعبد الرحمان اليعلاوى ، واحمد حمانى ، ومولود قاسم ، وعبد الرحمان شيبانى ومحمد صالح الصديق وعبد الله شريط ، وعبد الله ركيبى،وابو القاسم سعد الله ، والجنيدى خليفة ، ومحمد الميلى ، ويحى بوعزيـز ، وعمار طالبى ، وعبد القادر زبادية وغيرهم .

ولعل هذا العطاء الذى قدمته الزيتونة للجزائر والعروبة والاسلام ، هو الذى حمل الدكتور صالح خرفى على التنويه بالدور الذى لعبته فى تكوين طلبة البعثة من الناحيتين : العلمية والفكريـة ، واعتبارها البيئة الاولى الـتى ترعرع فى كنفها هذا النشاط الزاخر ، فيقول : « ولو اعطينا الاولوية للبيئة العلمية التى تخرجت فيها الطليعة لجاءت تونس فى الدرجة الاولى .



ففى ( جامع الزيتونة ) درس أو تخرج أغلب شعرائنا الاوائـل . والشاعر الجزائرى فى تونس لم يكن يكتفى بدور الطالب الذى يتلقى الدرس ثم يتأبط كتبه صوب مسكنه . وانما ساهم مساهمة فعالة فيما كانت تزخر به تونس فى اعقاب الحرب ، وبعد رفع الحصار على الصحافة سنة 1920 مـن نشاط فكرى ودينى وسياسى» (17) .

والحقيقة ان الزيتونة كانت دوما محل تقدير من طرف كل الخريجين الذين عرفوا ما لهذا المعلم العلمى الجليل من الاثار السياسية والفكرية والدينية على الاوضاع ، والتغييرات التى يمكن ان تحدث بالجزائر . وفى مقدمة هؤلاء الشيخ عبد الحميد بن باديس ذلك الذى استطاع ان يجعل من الزيتونة قاعدة تنطلق منها جحافله المجندة للحفاظ على الشخصية العربية الاسلامية للجزائر المهددة بالمسخ ، والدمج ، والتجنيس .

---

(17) خرفى صالح ( شعراء من الجزائر ) ـ ج 1 معهد البحـوث والدراسـات العربية 1969 ص 30 .

كان بن باديس حريصا كل الحرص على متابعة تطور الاوضاع العلمية فى الجامع ، لا يرى بأسا من التدخل عند الضرورة وابداء رايه فيما يتوجب ابداء الرأى فيه ، اذا تعلق الامر باصلاح مناهج التدريس ، والعمل على تطويرها وتعصيرها بما يتوافق وروح الثورة والطموح .

لقد أشرب بن باديس حب الزيتونة والتعاطف مع قضاياها ، والتحلى بروح العرفان لها كل تلاميذه ، فدرجوا على الوفاء مثله . ومن شواهد ذلك ما اعتاد ان يظهره هؤلاء من الولاء والتقدير للزيتونة ويصرحوا به فى المواقف المختلفة فالشيخ السعيد الزاهرى الذى تخرج فى الرعيل الاول من البعثة جسد صورة من وفاء جيل ، ولم ينفك مباهيا بهذا الانتساب ، مظهرا شتى عواطف الولاء والتقدير الشخصى والوطنى لما قدمت الزيتونة من الخدمات للجزائر وابنائها قائلا : « أنا مدين لكلية جامع الزيتونة . فقد تخرجت فيها وأحرزت على شهادتها « شهادة التطويع » . وما تراه فى الجزائر من حركة العلم والادب والاصلاح الدينى ، هذه ايضا مدينة لجامع الزيتونة . فكثيرا من رجال هذه الحركة الاصلاحية قد تخرجوا من الزيتونة ، وأحرزوا على شهادتها العلمية»(18)

وقد سرت روح العرفان هذه الى كل الاجيال الاخرى التى مثلت مختلف البعثات فظلت تعرب عن هذا الوفاء الحميم فى كل المناسبات (19) ، شأن كل من عانى المصاعب الجمة ، وقاسى مشقة الاغتراب والهجرة ، واجتياز الحدود بصورة شرعية آنا ، وغير شرعية اخرى للانخراط فى صفوف طلبة الزيتونة مما يجعله وافر الحماس للدفاع عن معهده كلما لمس طعنا فيه ، غرضه الهدم والحقد ، فتراه يبرر هذا الدفاع بابراز الاسباب الوجيهة التى تحمله على ذلك

---

(18) ( الشهاب ) ديسمبر 1933 .

(19) انظر قصيدة الشاعر محمد الصديق بن عريوة المنشورة بالعدد المؤرخ فى يوم 19 جانفى 1924 من جريدة ( النهضة ) يحيى الكلية الزيتونية بعد تخرجه منها قائلا :

فيا كلية العرفان دومى سبيلا للهدى ، واحمى اناما
تروم بلادنا منك العلوم فلبى صوتها تخطو أماما
ففيك مناهل الخبرات طرا فجودى بالمنى وارعى الذماما

وكذلك قصيدة فى الموضوع للشاعر القسنطينى احمد الغوالى نشرت بالعدد الصادر يوم 14 افريل 1950 من جريدة (الصريح) .

مثلما فعل الشاب عبد اللطيف بن علي القنطري الطالب بالزيتونة عندما طالع بالعدد 115 من مجلة ( الشهاب ) مقالا يستنقص فيه صاحبه من شأن الزيتونة ورغم ان المقال كان مذيلا بتعقيب مجلة ( الشهاب ) التي انبرت للرد على صاحب المقالة فان هذا الطالب الذي طالع الموضوع اثناء اقامته بتونس سرعان ما دفعته الحمية ، وأدرك ما يجول بخاطر كاتبه من الاوهام والتقولات ، فكتب يرد عليه ويعدد فضائل الزيتونة على ابناء الشمال الافريقي عامة قائلا : « ان الكلية الزيتونية لها الفضل الكبير على ابناء الشمال الافريقي عموما أينما كانوا . وذلك لاننا نرى في كل سنة ما تنتجه من خيار الشبيبة المتنورة افكارهم .

وهم مع بعض خريجي المدارس تعلق عليهم الامة آمالها في احياء لغتها (20) .

أما الشهادة الاخيرة فنقتطفها من مقال بعنوان ( فضل الزيتونة على الجزائر ) للحبيب بناسي احد الطلبة الجزائريين الذين درسوا بالجامع في الخمسينات ، وساهموا في الكتابة في الصحافة التونسية ، وقد كتب يحيى معهده قبل تخرجه بايام ، ويذكر ما للزيتونة من الاثر والفضل على الجزائر ، ويلفت نظر زملائه الى هذه الحرمة فيقول : « وللزيتونة ـ والحق يقال ـ فضل على الجزائر في الميدان الثقافي ، اذ لا ينسى ناس ان الجزائر محرومة من التعليم العربي كلية، بل اللغة العربية غير معترف بها ، وهي تعامل معاملة سيئة ، والتعليم جريمة يعاقب عليها بأبشع العقوبات » (21) .



ويمكن القول في الختام بان طور البعثة لم يكن استمرارا ، او تمثيلا لطور الرحلة العلمية الذي سلفت الاشارة اليه في الفصل الماضي ، ولكنه كان طورا من البعث والاحياء ، واعادة الجسور المقطوعة ، وتركزت الجهود خلاله على تنظيم هجرات جماعية ذات اهداف محدودة ، لا تتعدى الدراسة ، ثم العودة الى الجزائر لمباشرة مهام تعليمية واصلاحية .

واذا كان دور بن باديس بارزا في مضمار تنظيم صفوف هذه البعثات ، وجهوده كبيرة في هذا الصدد فان من اهم اعماله توسيع دائرة هذا النشاط الثقافي ليستوعب الشعب باسره ، فيباشر من خلاله مسؤوليته الجماعية التلقائية التي تجسمت في الامتثال لتوجيهات زعيمه الروحي ، والحماس لافكاره المخلصة ، والمساهمة بقسط وافر في انجاح هذه الحركة العلمية

---

(20) ( الشهاب ) 27 اكتوبر 1927 .
(21) ( الزيتونة ) 27 اكتوبر 1954 .

الواسعة ، وارسال ابنائه الى الخارج وجمع المعونات والتبرعات لفائدة هـذا المشـروع .

وبهذا ضمن بن باديس لحركته الاستمرار ، وعـدم التعثر بعده ، بل عـلى العكس مما كان يتوقع فقد تواصلت هذه البعثات تباعا وباعداد متزايدة مـن سنة الى اخرى ، وشملت كل الشريط الجغرافي الممتد من مدينة قسنطينة الى جنوب الجزائر . وتهافت الوافدون على الزوايا والكتاتيب والمعاهد المنتشرة من قرية ( نفطة ) جنوب تونس حتى جامع الزيتونة بالعاصمة .

والى هذه البعثات يعود الفضل فى صهر جميع الخلافات التى اراد المستعمر بذرها بين المناطق اثارة للفتنة . فعلى مقاعد الدراسة اصبح الطلبة الجزائريون من كل حدب وصوب مثالا لوحدة الفكر والتمازج الروحى والوطنى . كما ان من نتائج طور البعثة افرازها المستمر لعدد من الكتاب والشعراء الذين اثروا تاريخ الجزائر الادبى ، واصبحوا من اعلامه البارزين ، ومثلوا فى شعرهم ونثرهم روح الجزائر المناضلة وثورتها الفريدة .

لم يقتصر دور الطلبة الجزائريين الذين درسوا بمختلف المعاهد العلميـة بتونس ، وعلى الخصوص منها الجامعة الزيتونة على مجرد تلقى الدروس والحصول على الشهادات ، ثم العودة الى بلادهم ، بل كان لهم دور بارز فى مجال الانشطة الطالبية ، وتأسيس الجمعيات ، وتحريكها ، والانخراط فى الاندية الادبيـة التونسية والاندفاع للعمل ضمنها .

ولاشك ان الغرض الاساسى من انشاء هذه الهياكل وتنظيمها كان جمـع شتات الطلبة وتوحيد صفوفهم وتقريب وجهات نظرهم ، وامتصاص اختلافاتهم الجهوية والمذهبية ، بين شماليين وجنوبيين ، ومالكيين واباضيين (22) ،

---

(22) نسبة الى عبد الله بن اباض بكسر الهمزة ، المروى التميمى ، والمـروى نسبة الى مرية بلدة بين واسط البصرة ، لا نسبة الى بلدة مـن اعمال طرابلس الغرب كما ذكره صاحب الرحلة الحجازية . وهو من بنى تميم ، نشأ فى نجد اليمن ، ثم انتقل الى مرية فنسب اليها ثم الى البصرة ، وفيها ظهر أمره ، وذاع ذكره .

وانما نسب الى اباض دون عبد الله لاشتهاره بابن اباض اكثر من عبد الله ، وهذه التسمية للتمييز لا للتشريع .

من تعليق فى دراسة بعنوان ( حقائق عن وادى ميزاب ) نشرت بمجلة ( البدر ) التونسية ج 3 ص 64 1923 .

وتسهيل اوضاعهم المادية والمعنوية ، وتوفير الرعاية النفسية لهم ، وبث روح الثقة والاستقرار فيهم ، كى تتسنى لهم الدراسة فى منـاخ اجتماعى ونفسى ملائم . ثم اخيرا شحذ عزائمهم ، واعدادهم اعدادا سياسيا ووطنا للقيام بالدور الذى يقومون به فى سبيل تحرير وبناء جزائر المستقبل .

ولقد ساعد على ظهور هذه الهياكل الطالبية عدة عوامل ، من أهمها :

**أولا** ـ تكاثر عدد الطلبة فى الثلاثينات بصورة فرضت التفكير فى وجـوب تأطيرهم ، وصهرهم فى لحمة واحدة للاستفادة من هذه الكثرة ، والتقريب بين وجهات نظرها المتباينة .

**ثانيا** ـ ظهور ( جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ) فى ماى 1931 فى اطارها القانونى والاجتماعى ، الامر الذى يعتبر حدا فاصلا بين الطور الفردى للحركة الاصلاحية ، وبين طورها الجماعى ، بين مرحلـة الدعـوة المحـدودة بجمهور المساجد وحلقات الدرس ، ومرحلة تركيز هذه الدعوة ونشرها عـلى اوسع نطاق .



**ثالثا** ـ تأثر الطلبة الجزائريين بالنشاط الواسع الذى قامت بـه جمعيـة ( طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا ) (23) التى سلف لها ان عقدت فـى الثلاثينات ثلاث مؤتمرات هامة خلال السنوات التالية : 1931 ، 1932 ، 1933 فى كل من تونس ، والجزائر ، وباريس . ثم نشرت محاضر جلساتها باللغة

---

(23) ضمت هذه الجمعية نخبة من ابرز الطلبة المنتسبين لاقطار شمال افريقيا ممن يدرسون بفرنسا ، وقد اصبح معظم اعضاء هـذه الجمعية قـوادا وزعماء للحركة الوطنية المغربية ضد الاحتلال الفرنسى ، ومن بين هؤلاء معالى الحاج ، عباس فرحات ، المنجى سليم ، الهادى نويرة ، صالح بن يوسف ، احمد بن ميلاد ، الحبيب ثامر ، محمد الفاسى ، عبد الخالـق الطريق ، علالة الفاسى .. وغيرهم .

العربية (24) ، وضمنتها مجموعة من الدراسات والتقارير العلمية عالجت من خلالها الاوضاع التعليمية ، والمشاكل التربوية التى يعيشها الشمال الافريقى قاطبة فى ظل الاستعمار الفرنسى (25) ، فأعطت بهذه التجربة المثل القويم لغيرها من طلبة المعاهد كى يتوسموا خطواتها فىالمبادرة بتاسيس هياكل طالبية تساهم فى انارة الرأى العام ، وتعبئة جهود الشباب الطالبى داخل هذه الاقطار سيما وقد تعمدت هذه الجمعية ضم عدة عناصر من طلبة جامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بفاس ، لاشراكهم فى مشاريعها ونشاطاتها ، واثارة الحماس فيهم ، والايحاء لهم ببعث جهودهم ، وترتيب صفوفهم على نحو ما فعل افراد هذه الجمعية نفسها .

انطلاقا من هذه الاوضاع المختلفة بدت الحاجة ملحة الى قيام هياكل طالبية بين المجموعات المتجانسة ، فكان الاعلان عن قيام ( جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين ) انعكاسا تلقائيا لهذه الحالة ، وجد له التجاوب المطلق مع مطامح الطلبة الذين كانوا فى حالة تشتت واضطراب .

وبقيام هذه الجمعية وضع الحد الفاصل بين الطور الاول للبعثات الذى كان يقوم على الجهود الفردية المبعثرة طيلة احدى وعشرين سنة منذ وصول

---

(24) نشرت هذه المحاضر باللغة العربية ، فى المطابع التونسية فى التواريخ والاماكن التالية :

أ) نشر المحضر الاول بالمطبعة الاهلية نهج الديوان عدد 5 تونس سنة 1931 . وهو يضم اعمال المؤتمر الاول المنعقد من 20 الى 22 اوت 1931 بتونس .

ب) نشر المحضر الثانى بمطبعة ( الاتحاد نهج الباشا عدد 116 تونس سنة 1932 ، وهو يضم اعمال المؤتمر الذى انعقد بالجزائر من 26 الى 29 اوت 1932 .

ج) نشر المحضر الثالث بمطبعة الاتحاد نهج الباشا عدد 168 تونس ، وهو يضم اعمال المؤتمر الذى انعقد بباريس من 26 الى 29 ديسمبر 1933

(25) من اهم الموضوعات التى تدارستها المؤتمرات الثلاث : موضوع التعليم وتعريبه ، وتطويره ، بما يتلاءم ومقتضيات التطور . ومن ابرز العناوين التى تناولتها لجان طالبية ، تعليم اللغة العربية وخصوصا وضع التعليم العربى فى الجزائر ، تعليم التاريخ ، تعليم المرأة ، حالة التعليم العالى ، وتنظيم البعثات .

اول بعثة « باديسية » في سنة 1913 الى حين بداية التفكير في اخراج جمعية الطلبة من حيز التفكير والتشاور والاعداد الى حيز الواقع القانوني والرسمي والاجتماعي في سنة 1934 وبين المرحلة الموالية التي استمر فيها وجود الجمعية بين الظهور والاختفاء ، وبين النشاط الحثيث والركود المفاجيء ، وبين التماسك والتعثر طيلة ما يقارب العشرين سنة فيما بين سنة 1934 وحتى سنة 1957 موعد حل الجمعية من طرف جبهة التحرير الجزائرية .

عاني الطلبة الجزائريون في الطور الاول من البعثة شتى صنوف العذاب والحاجة والمضايقات النفسية والمعنوية ، فكانوا يشدون الرحال الى تونس تارة على الاقدام ، وطورا على المطايا عابرين الحدود معرضين انفسهم لكل المخاطر والمجازفات ، وبعد قطع المسافات الطويلية كانوا لا يجدون من يخفف عنهم اعباء الغربة والانتقال غير المتطوعين القلائل من الطلبة المتقدمين عنهم في السن والرتبة الذين يبادرون الى تقديم ما يتوفر لديهم من المعونة . وكثيرا ما يكون مرجعهم الوحيد شيخ من المشائخ يوكل اليه الطلبة او بعض الجهات العلمية تصريف الامور تبعا لاسبقيته وخبرته ، وما يتوسم فيه من الفضائل ولكن في حدود جهوده الفردية وعلاقاته الشخصية .

ولا يستثنى من هذه الوضعية غير ابناء ( وادي ميزاب ) (26) الذين بدأ توافدهم على الزيتونة من الجنوب الجزائري في بداية سنة 1917 ، أي بعد البعثات الباديسية باربع سنوات تقريبا في شكل مجموعات اكثر احكاما من حيث التنظيم والادارة ، وأوفرحظا من النواحي المادية . المعنوية . اذ كان يعهد في كل مرة الى واحد من علمائهم مهمة الاشراف على البعثة الطالبية ، وتولى كل امورها وتجنيبها ما يتوقع من المصاعب .

ونظرا للحالة المادية الميسورة التي كان عليها أبناء الوادي ، ولارتباطهم مذهبيا (التمذهب بالمذهب الاباضي) ـ بتجار تونس من سكان جزيرة جربة، ولوجود عدد هام منهم يحترف مهنة التجارة بتونس العاصمة ، فانهم لم يدخروا جهدا في توفير أسباب الراحة لهذه البعثات حيث افردوا لها محلات للسكنى ، وقدموا لافرادها شتى المساعدات ، مما مكن عددا كبيرا منهم من الدراسة في

(26) يطلق اسم وادي ميزاب على مجموعة المدن السبع التي يتكون منها هذا الوادي الواقع جنوب الجزائر وهي : غرداية ( العاصمة ) ، بني يزقن ، القرارة ، بريان ، العطف ، مليكة ، بنورة . وتبعد اكبر المدن وهي غرواية عن العاصمة بـ 336 كلم .

ظروف تختلف كل الاختلاف عن الظروف التى عاشها طلبة البعثات الاخرون الذين وفدوا على الزيتونة من شرق الجزائر .

استغرق العمل على اخراج الجمعية من طور التمهيد والتفكير والمشاورات الى الطور العلنى بضع سنوات لاعتبارات تتعلق بالاوضاع الخاصة بالطلبة الجزائريين ، الذين كانوا مشتتين وغير متمرسين بالاعمال التنظيمية، تنخرهم الحاجة والفاقة ، وتستبد بهم الغربة ، ويعوزهم قلة الوعى وصلابة القيادة .

لقد ظل قيام الجمعية ـ رغم كل الظروف التى وقعت الاشارة اليها ـ مرتهنا ببادرة تصدر عن شخصية قيادية لها تاثيرها الخاص بين الطلبة ، حتى اذا زار الشيخ البشير الابراهيمى عضو جمعية العلماء تونس فى بداية الثلاثينات ، واجتمع بالطلبة والعمال ، ولاحظ امارات البلبلة والتردد المستبدة بهم ، ادرك ان الاوان قد آن لجمع هذا الشتات وتحويله الى قوة مؤثرة تلعب دورها المرسوم فى حركة النضال الوطنى الجزائرى .

وخلال اجتماع نظم بجامع من جوامع تونس العاصمة تعمد الشيخ الابراهيمى فى الكلمة التى القاها فى جمع العمال والطلبة لفت نظرهم الى حالة البؤس النفسى ، والعوز المعنوى الذى يشدهم الى القاع ، ويهد كيانهم ، داعيا اياهم الى تكتيل الصفوف والتلاحم ، والخروج بقضيتهم وقضية شعبهم من الطور السلبى الى طور العمل المجدى ، من الظل الى المواجهة ، وتبصير الشعب التونسى وغيره من شعوب العالم العربى والاسلامى بعمق المأساة التى يعيشها الجزائرى المحكوم عليه بمبارحة الاوطان هربا من العسف ، وفرارا من الجهل الذى فرضه الاستعمار على الشباب الجزائرى .



ففى تظافر جهودهم انقاذ لحالتهم من شتى صنوف الهوان ، وفى رفع اصواتهم احتجاج صارم على الاستعمار الذى تسبب فى عمق المأساة الجزائرية ، وفى ترتيب صفوفهم ورصها قوة ، ودعم للشخصية الجزائرية المضاعة .

كان عدد الطلبة الجزائريين فى بداية الثلاثينات يربو عن المائتى طالب . لذا رأى الشيخ الابراهيمى أن هذا العدد الوافر بحاجة حقا الى تنظيم قانونى ، يكفل له حرية العمل ، ويمكنه من اطار منظم يجمع شتاته ، ويوحد كلمته ، ويكتل جهوده .

ويروى أحد الذين حضروا هذا الاجتماع فى بعض ذكرياته الطالبية عن مدى تاثير هذه الزيارة فى التعجيل بابراز كيان الجمعية ، وما كان لها من الانعكاس فى نفوس الطلبة والهاب الحماس فيهم ، ودفعهم للعمل فى كل اتجاه فيقول فى هذا الصدد : « صادف ان زار الشيخ الابراهيمى تونس ، فوجد الطلبة فى

بلبلة باعثها العوز ، فاجتمع به الاخوان مع بعض العمال الجزائريين بجامع في حي الحجامين (27) وقد اشار عليهم الاستاذ الابراهيمي بالكتابة في الصحافة التونسية اظهارا لما يكابدونه من اتعاب واوصاب ، وقد تولى هاته المهمة احد الطلبة ، فكتب عدة مقالات في الصحافة .

ومن هنا ابتدأ اطار الطلبة يتكون ووحدتهم تقوى وتشتد، فاصبحوا يكونون الاجتماعات الخاصة ، ويشاركون كطلبة لهم وحدة ادبية في الاجتماعات العامة التي تعقدها الجمعيات المحلية » (28) .

وهكذا بدفع من الشيخ الابراهيمي ، وبتحريض منه تبلورت في اذهان الطلبة فكرة ابراز الجمعية ، خرجت من دائرة الخيال والاماني والاحلام الى دائرة الامكان والاحتمال ، مما دعاهم الى تكوين هيئة وقتية اوكلت اليها مهمة وضع البرامج والاهداف الخاصة بهذه الجمعية ، واجراء المشاورات اللازمة مع الجهات المعنية سواء منها مشائخ جامع الزيتونة ، او الدوائر الرسمية ، في انتظار ان تحين الفرصة المناسبة للاعلان عن ابراز الجمعيتين بصفة رسمية . فقد كان الخوف قائما من ان تعمد السلطات الاستعمارية الى احباط هذه المحاولات ، وتضع في طريقها العراقيل فتؤول الاحلام الى خيبة يخشى من جرائها على الاحوال الطالبية ان تعود الى ما كانت عليه من الفوضى والتشتت .

وبعد سنتين كاملتين من المشاورات امكن للجمعية ان تعلن عن نفسها في سنة 1934 . ففي هذه السنة عقد الطلبة اجتماعا انتخبوا خلاله هيئة لجمعيتهم التي اتخذوا لها اسم « جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين » واولوا رئاستها الشيخ المهدي البجائي ، كما اسندوا رئاستها الشرفية الى الشيخ المختار بن محمود (29) احد مشائخ الزيتونة المرموقين .



---

(27) حي من الاحياء الشعبية لتونس العاصمة ، على مقربة من المكان المسمى بالباب الجديد .

(28) النجار عمار ( الثمرة الثانية ) 1947 – 1948 مطبعة التليلي نهج المفتى عدد 19 تونس ص 9 .

(29) ( توفى في شهر ديسمبر 1976 ) من كبار علماء الزيتونة، ساهم مساهمة نشيطة في الحركة العلمية الاسلامية في الثلث الاول من مطلع القرن بما كان يكتبه في المجلة ( الزيتونة ) من مقالات متنوعة عرف بصلاته الوطيدة بالحركة الاصلاحية الجزائرية ، وبالطلبة الجزائريين على وجه الخصوص .

غير ان رئاسة الشيخ البجائى للجمعية لم تدم سوى بضعة شهور ، ثم آل امر رئاستها بعد ذلك الى الشيخ عبد المجيد حيرش ، الذى استمر على راس الجمعية حتى بقية سنة 1934 .

وخلال هذه الفترة القصيرة من رئاسة الشيخ حيرش بذلت جهود كبيرة للتعريف بالجمعية واشهارها ، وتوضيح الاغراض التى اسست من اجلها . وفى سنة 1935 اخذت الجمعية مسارا جديدا بعقدها مؤتمرا موسعا اجريت اثناءه انتخابات عامة بحضور الطلبة ، وكان من نتائج ذلك انتخاب الشيخ الشاذلى المكى رئيسا للجمعية ، وهى الرئاسة التى امتدت الى اربع سنوات باكملها ، ولعلها كانت اطول فترة تتاح فيها لمسؤول من مسؤولى هذه الجمعية فرصة ادارتها كل هذه السنوات .

كما تميزت فترة رئاسة الشيخ الشاذلى المكى بالعمل والافادة ، ودعم مكانة الجمعية فى الاوساط الطالبية والعلمية ، وجعلها محور عدد من اللقاءات والمناقشات العلمية ، والذكريات الخالدة . ولولا قيام الحرب العالمية الثانية ، واضطرار الجمعيات والمؤسسات المختلفة للاختفاء لظل عمل الجمعية متصاعدا متطورا يلقى المساندة والدعم من مختلف الاوساط ، ويستقطب اليه العلماء من كل الاتجاهات .



والى الشيخ الشاذلى المكى يعزى السير بالجمعية سيرا منتظما مخلصا ، قوامه خدمة مصالح الطلبة والدعوة للمعرفة والعلم ، والتعريف بالجزائر واعلامها ، وواقعها الاستعمارى ، مع سعى حثيث لتكوين الطالب من الناحيتين الادبية والخطابية. فالجزائر ـ في هذه المرحلة ـ كانت بحاجة الى خطباء يتوزعون فى المساجد والمدارس والساحات العامة يجلجلون بأصواتهم ، ويهزون ركود شعبهم ، ويبثون فيه روح الحماس الوطنى ، مثلما هى بحاجة الى علماء يبذرون المعرفة بين الصغار فى المدارس ، والكبار فى الحلقات العامة ، وداخل جدران المساجد .

لقد تحلى الشاذلى المكى ـ كما يذكر الطالب عمار النجار الذى سجل لنا تاريخ جمعية الطلبة ـ بصفات عديدة ، كانت من الدعائم الاساسية لنجاح أى مشروع ، والوصول به الى الهدف المراد ، فاخلاصه أوجب عليه ان يشقى ليسعد الطلبة ، ويتعب ليستريحوا . وجرأته النادرة الزمته بأن يمضى بالجمعية قدما لا يلتفت لمن ديدنهم التثبيط والعرقلة ، ودأبهم الانتقاد والمعارضة . وذكاؤه المفرط والمعيته الفائقة كلفاه بتوسيع فكرة الطالب ،

وتغذية روحه ، فكان يعقد الاجتماعات الاسبوعية ، يتمـرن فيها الطلبـة عـلى الخطابة والارتجال ، مما كان له النتيجة الكبرى والثمرة اليانعة ، حتى اذا رجع الطالب الجزائرى وجد فى نفسه استعدادا لمكافحة الضلالات التى كانت سائدة على الشعب الجزائرى فى ذلك الحين » .

وبفضل هذه الجهود النشيطة البارزة قطعت الجمعية شوطا كبيرا فـي اعداد الطلبة للمستقبل ، وتنشئة جيل منهم قادر عـلى درء الضـلالات الـتى يروجها المغرضون ، واعوان الاستعمار ، والسذج . فمن الحكمة والسداد ان يفكر القائمون على شؤون الجمعية فى الكيفية التى ستدار بها المعركة المقبلة ، حين يعود هذا الشباب الجزائرى الى وطنه أو يواجه « أذنابا » أفلحوا فى شد آذان البسطاء اليهم ، وغسل عقولهم بمختلف الترهان التى تتردد فى الزوايا واوساط الدجالين الذين اوجدهم المستعمر بغرض تجهيل الشعب ، وتجميد طاقاته العقلية ، وشل ارادته ، والهائه عما يجرى حوله . فلا بد اذن من تسليح هذا الشباب بقدرات خطابية ، وتأهيله لمواجهة الجمهور والاحتكاك بالناس ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وتعلم صيغ الدفاع الشرعى وافحام الخصم ، وتفتيق آذان البسطاء اليهم ، وغسل عقولهم بمختلف الترهات التى تتردد فى الزوايا الغاضب الدخيل .

هذا القرار الذى اتخذته الجمعية ، وشرعـت فى تطبيقه هـو اقـرب الى القرارات السياسية منه الى القرارات الادبية والعلمية الخالصة . وهو يوضح لنا الاغراض والمقاصد التى كانت تخامر عقول مسيرى هذه الجمعية ، كما يبين لنا تطور الوعى السياسى وتناميه من حلقة علمية الى اخرى ، ومن جيل طالبى الى جيـل آخر .

فاذا كانت الهيئة الادارية السابقة قد أخذت على عاتقها فى البدء تكـوين الطالب تكوينا أدبيا وعلميا صرفا ، وتوجيهه هذه الوجهـة دون غيرهـا فى انتظار بلورة الوعى وتكشف الاحداث فان الخطوة الموالية كانت إرداف هـذا التكوين الادبى بتكوين خطابى سياسى ، باعتبار ان الطالب هو رجل الاصلاح الذى سوف يلتحق بالركب حال تخرجه من الزيتونة. ومن مهام رجال الاصلاح ان يتحلوا بمواهب وقدرات متعددة ، ترتفع بهم الى المستوى الـذى ينتظـره الناس منهم . فما يزال بن باديس مثل الجميع فى إلمامه بفني الكتابة والبيان ، وفى ظهوره على الواجهتين ، الدينية ، والوطنية .

( للبحث صلة )

**د. محمد صالح الجابرى**

# قصيدتان

شعر: محمد البقلوطي

**① تعالى نصنع الذكرى :**

لِمَ التّفكيرُ يا ليْلى ؟
فهلْ في الحُب تفكيرُ ؟
وهلْ للحُبّ تَعْلِيلُ ؟
وَهلْ للحُبّ تَفسِيرُ
لقدْ أحْبَبْتُ فاقْتَرِبي .
سأشْدُو وِفقَ أحلامِي ...
كما تَشدُو الشحَارِيرُ

* * *

سأشْدُو أرْوَعَ الشعرِ
فشعرِي يَا معذّبتِي ..
كأنْفَاسٍ مِن العطرِ
ولَنْ أحيَا أنا يَوْمًا
ولو يوما مِنَ العمرِ
بلا فنّ ، وموسِيقى
بلا حُبّ
بلا شِعرِ

* * *

أنا يا أنتِ لَنْ أحيا بلا أنتِ
فأنتِ الفرحةُ الأولى
وأنتِ اللهفة الأولى
وانتِ الان مرآتي التي فيها أرى الاتي
فكم طالتْ متاهاتي ...
وهيا نصنع الذكرى
ولم أفرحْ ولو مرّة .
فَضُميني ، وضميني

② غبيـان نحـن :

لأجلكِ أبكي
أبكي لأجلي وأبكي وأبكي
ففي مقلتيكِ عتاب وحسرة
ولومٌ ، وشكوى ، وأشياء أخرى ..
وَوَحدِي أنا مَنْ حواني صداها
ووحدي أنا أعرف السـّر فيهـا
فأكـره عمـري
وأكره صمتكِ أنتِ وصمتِي
وأبـكي
وأبكي
وأكتمْ صوتِي
وأشهد أني غَبِيٌّ
غَبِي . غَبِي
وأنتِ أيضـا غَبيهْ
فهيـا تعالَيْ
ألوم عليك ولومي عليّ .

محمـد البقلـوطي



### ننشـر في الأعـداد القـادمة

| | |
|---|---|
| فقط..أنا مسكون بعشق الشعرفقط! | بقلم : **الصادق شرف** |
| «أدب الرحلة» فيتراث سعيد أبي بكر | بقلم : **الحبيب الشاوش** |
| توقيعات يومية .................. | شعر : **مفرح كريم** |
| النادرة بالحجاز فيالعصر الأموي(تابع) | بقلم : **البشير المجدوب** |
| موال الموسم القادم .............. | إبداع : **محفوظ الزعيبي** |

# صفحات مشرقة من تاريخ صقلية والفاتح القاضي أسد بن الفرات

بقلم : محمد أنور بوسنينه

– 2 – (*)

أما عهد الدولة الفاطمية فابتدأ من سنة 297 هـ. حين تولية الحسن بن أحمد الجزيرة من قبل عبيد الله المهدى وقد كان هذا الوالى متشيعا للبربر ميالا لهم ، وعمل على دعم التفرقة بينهم وبين العرب فكانت الثورة فى النهاية وإقالته من قبل الخليفة .

هذا وقد انقسم العهد الفاطمى الى فترتين : فترة عصر الولاة والارهاب ، والفترة الثانية تمثلت فى عصر الاستقلال الذاتى والذى امتاز فى أولى سنواته بالالتحام بجيش الروم وقتالهم والانتصار عليهم خصوصا فى فترة حكم أحمد بن الحسن بن علي الذى انتصر عليهم انتصارا مشهودا وأسر أمير البحر « بنساتاس » وأرسل به صحبة عظماء الروم المأسورين الى بلاط الخليفة فى المهدية حتى كان الصلح فى النهاية والذى سعى اليه الروم جادين حيث لم يبق لهم أمل فى مواجهة المسلمين والتغلب عليهم ونتيجة لذلك حل وفد من القسطنطينية بالمهدية محملا بالهدايا النفيسة والعطايا الغالية الى الخليفة المعز ، فتم الاتفاق على عدم دخول الروم صقلية أبدا وترك مدينتى طبرمين ورمطة للمسيحيين فقط .

وكان هذا الاتفاق نكبة على المسلمين حيث دبرت المؤامرة وأصبحت المدينتان مركزين لتقوية عضد المسيحية ضد الاسلام ومركز انطلاق الروم للاعتداء والسلب والفتك . ثم كان تدخل النرمان بعد احتلالهم جزيرة كورسيكا وجعلها مركزا للانقضاض على الجزيرة وبمن فيها من مسيحيين ومسلمين ، وقد باشروا

(*) تابع لما نشر فى «الفكر» ع : 4 – س 28 – جانفى 1983 .

الغزو فى أبشع صورة وأشد فتكة وحطموا وهدموا واحرقوا ما كان فى طريقهم حتى ضجر منهم البابا « ليـون » التاسع وبعث برسالته الشهيرة الى امبراطور القسطنطينية والتى فصل فيها القول عن عدم انسانية هؤلاء وذبحهم للمسيحيين كما تذبح الشياه ، ولم يعر الامبراطور أية أهمية لهذا الاستنجاد فدعا الالمان الى المؤازرة الا أنهم أبوا ، وفى الآخر جند جيشا بقيادته الا أنه هزم وأسر حتى كانت الفدية فأطلق سراحه بعد عام . وهكذا واجه سكان جزيرة صقلية على اختلاف الديانة هؤلاء النرمان خصوصا فى عهد الدولة الحسينية . وما ان كان الفاطميون بمصر ، وانتقال ثقل الدولة من المهدية الى القاهرة ، وقد عين الخليفة لولاية المغرب أحد القواد العظام وهو يوسف بلكين ابن زيرى بن مناد ، لكنه لم يمكنه من صقلية والتصرف فيها فأصبحت الجزيرة تابعة رسميا للخلافة بالقاهرة ومستقلة بصورة عملية تحت تصرف ملوك بني الحسن بن علي . وربما كان هذا الصنيع سببا آخر فى تقهقر الوضع وضعف السلطة الاسلامية مع هذا التفرغ الكلي لدولة صنهاجة بالاعتناء بشؤونها وتدعيم قوتها خصوصا فى فترة المعز بن باديس وهكذا تمكن النرمان من زيادة التنكيل بالمسلمين وخضد شوكتهم فما كانت الرغبة تتحقق لمد يد المساعدة من طرف الدولة الصنهاجية حتى أصيبت هى الاخرى بمقاومة بني هلال وسليم فكان ابتداء النهاية وتدهور حال الدولتين فى صقلية والمغرب .

وفى الاثناء كانت هناك انتصارات رائعة للمسلمين سجلها التاريخ وكانت على يد الشهيد الامير أبى القاسم على حيث قاوم زحف الالمان وقبل استشهاده فى ساحة الوغى فى شهر محرم سنة 372 هـ . ( 984 ) م. توفي متأثرا بجراحه امبراطور الالمان « أوطون » الثانى فى ديسمبر ( 983 ) م. وبعد فترة تميزت بالصراع من أجل السلطة والاستحواذ على النفوذ وقيام ثورات داخلية مؤلمة سالت فيها دماء المسلمين رجعت الثقة فى نفوس الكثيرين وأخذوا يوالون الفتح والتقدم ، لكن انقلبت عليهم الظروف ، وعسر الوضع رغم هجرة الكثير من أهالى افريقية الى الجزيرة اثر المجاعة التى حلت بالبلاد وذلك سنة 395 هـ ومن تفصيل هذا الفتح والتقدم أنه فى سنة 846 م. تقدم أسطول اسلامى وأرسى جنوده قرب مدينة روما يوم 26 أوت من نفس السنة ، لكنهم اكتفوا بالمغانم ورجعوا نتيجة قلة العدد ثم استؤنفت المعارك من جديد واحتلت مدينة « باري » BARI ، لكن سرعان ما وقع استرجاعها بعد حرب دامت أربع سنوات ، وكان ذلك يوم 2 فيفرى سنة 871 م. ثم تألب بقية أمراء ايطاليا الوسطى والجنوبية وتمكنوا من تحطيم قوة المسلمين يعاضدهم البابا بنفسه

وأسطول الروم المستنجد به ؛ وكان نصرهم المشهود فى شهر أوت سنة ( 916 ) م. لكن كل هذا لم يمنع خطر غارات المسلمين من حين لآخر كاحتلال جنوة بين سنتى 934 م. و 935 م. ، وانهزام الاسطول الرومى من طرف مسلمى صقلية بمدينة مسينا سنة 965 م. وسميت الوقعة بوقعة المجاز . ( أثبتت الكثير من المصادر أنه سقط فيها قرابة العشرة آلاف قتيل من الروم ) .

ثم هذه المعارك الطاحنة التى دارت مع جيش الامبراطور الالمانى أوطون الثانى الذى فر مقهورا وقد استشهد فى الاثناء أمير صقلية أبى القاسم بعد أن أبلى البلاء الحسن ، وازداد الانقسام فى صفوف المسلمين واستنجدوا بالمعز بن باديس بعد يأسهم من الفاطميين ، فاستجاب لرغبتهم وأرسل ولديه عبد الله وأيوب مع جند كثير ، فدخلوا صقلية وقتلوا الوالى أسد الدولة أحمد الاكحل سنة 417 هـ. وتولى الامر ابنا المعز بدراية وذكاء .

وفى الاثناء استعد النرمان والنصارى من جديد للايقاع بالمسلمين فاستنجدوا للمرة الثانية بالمعز بن باديس فمكنهم من أسطول ضخم بلغ تعداده قرابة أربعمائة سفينة محملة بالعتاد والخيل الكثير . لكن لاراد لقضاء الله فقد تعرض لزوبعة بحرية أتت على أكثره ولم ينج الا القليل وقد كاد هذا الاسطول أن تكون له الكلمة الفصل لا فى صقلية فحسب بل وفى أوربا كلها .

وهكذا كان الخسران على صقلية وعلى ابن باديس ذاته اذ زياده على هذه المصيبة يصاب بفتن وثورات الهلاليين الساحقة والتى لا تبقى ولا تذر . وثار أهل صقلية على ابني المعز ومكنوا صمصام الدولة حسن بن يوسف شقيق أحمد الأكحل الذى مر الحديث عنه .

ثم كان الانقسام من أجل الحكم كل يحكم منطقة ، والخيانات تنشر وتستشرى وفى الاخير كانت النكبة الاخيرة فى القيروان على المعز بن باديس وخراب دولته وعاصمة نفوذه على يد بني هلال سنة 435 هـ. 1047 م.

ثم كان بالبلاد التونسية ملوك الطوائف وانقسمت البلاد الى عدة امارات ضعيفة واهية كامارة بني خراسان بمدينة تونس وضواحيها من سنة 458 هـ. سنة 553 هـ. وامارة بني جبارة بن مكي التى حكمت بناحية سوسة الى سنة 554 هـ. وامارة بني مدافع بن جامع الهلالى التى استقلت بجهة قابس والجنوب حتى سنة 555 هـ. واستقلت عائلة بني الرند بجهة الجريد حتى سنة 575 هـ.

وفى المهدية تواصلت امارة بنى المعز بن باديس الى سنة 555 هـ حيث دعمت الوضع دعوة عبد المؤمن بن علي الذى قضى على ملوك الطوائف ووحد الشمال

الافريقي تحت رايته . وتوطد ملك الدولة الصنهاجية بالمهدية هذه المدينة التي رأت أياما زاهية وبروز رجال أكفاء في ميادين العلم والادب والفلسفة . وحل بها وفي الاثناء فيلسوف الاندلس أمية بن أبي الصلت والامام المازري وكذلك لا ننسى نزوله بها شاعر صقلية العظيم عبد الجبار بن حمديس بعد خراب وطنـه الأم .

وعودة الى الجزيرة لنشير الى أن أميرها علي بن الحواس قد حاول توحيد الصفوف واعادة الكرة على الاعداء واستنجد بالامير الشاعر تميم بن المعز الذي لم يبخل على الرد وجهز أسطولا بقيادة ولديه علي وأيوب . وبعد نزولهما كل في جهة ركب الشيطان رأس الامير فخشي على ملكه وصادم جيش الانقاذ فقتل بسهم أصيب به . وتولى الامر أيوب بن تميم وواجه النرمان مواجهة عنيفة الا أنه وجد مقاومة وقوة مضاعفة تجاهه حيث وقف دونـه الكثير من المسلمين الصقليين وقاتلوه فقرر الانسحاب الى المهدية وكان ذلك سنة 461 هـ ( 1073 ) م. ولم يبق بأيدي المسلمين بالجزيرة الا القليل الاقل من الحصون والقلاع كقلعة قصريانة GASTRO GIOVANNI ، ومدينة جرجنتي GIRGENTI وقد بقيت هذه المدينة صامدة طيلة ثلاثة أعوام بعد حرمان واحتياج وآلام ممضة . أما قصريانة فما كان الاستسلام منها الا سنـة 484 هـ. ( 1096 ) م. وبذلك يكون صمودها قد تواصل طيلة 23 سنة اثر عودة المهاجرين صحبة أيوب بن تميم بن المعز الى المهدية . ويكون بذلك الاحتلال النهائي وتمكن النرمان من الجزيرة كاملة . واثر هذا الانتصار اقتفوا آثار المسلمين بسواحل الشمال الافريقي فاحتلوا مدينة طرابلس سنة 540 هـ. ثم مدينة صفاقس سنة 543 هـ والمهدية التي طردوا منها سلطانها الحسن بن علي بـن يحيـى سنـة 543 هـ. وتصرف ملك النرمان رجار الاول مع مسلمي صقلية تصرفا مشينا تنكيلا بهم وعسفا وقهرا . وقد وصف وضعهم ابن الاثير بقوله : « لم يترك لاهلها من المسلمين حماما ولا دكانا ولا طاحونا ولا فرنا » . لكن بقيت بقية من المسلمين تنشر التمدن والعلم والمدنية تحت الحكم المسيحي النرماني واذا لم تتمكن من السلطة والنفوذ فانها تمكنت من بسط شعـاع الفـن المعماري والتمدن في جميع الوجوه حتى كانت تنعت فترة ما بعد النكبة بفترة المدنية النرمانية الاسلامية . وقد سجل العديد من المؤرخين هذه الفترة كابن الاثير والشريف الادريسي الصقلي في كتابه الشهير : « نزهة المشتاق في اختراق الآفـاق » وابن جبير الذي زار صقلية بعد مائة عـام من النكبـة في سنـة 560 هـ. 1172 م. وقال عن مدينة مسينا التي زارها :

« وكفى بأنها ابنة الاندلس فى سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة ؛ مشحونة بالارزاق على اختلافها ، مملوءة بأنواع الفواكه وأصنافها . لكنها معمورة بعبدة الصلبان يمشون فى مناكبها ويرتعون في أكنافها والمسلمون معهم على أملاكهم وضياعهم قد أحسنوا السيرة فى استعمالهم واصطناعهم ، وضربوا عليهم أتاوة فى فصلين من العام يؤدونها وحالوا بينهم وبين سعة فى الارض كانوا يجدونها ... وليس فى مسينا هذه من المسلمين الا نفر يسير من ذوى المهن ولذلك يستوحش بها المسلم الغريب ».

وعند حلوله ببالرم PALERME سجل الملاحظات التالية الطريفة :

هى مسكن ملكهم غليام GUILLAUME ، وشأن ملكهم عجيب فى حسن السيرة واستعمال المسلمين واتخاذ الفتيان المحابيب . وكلهم أو أكثرهم كاتم إيمانه متمسك بشريعة الاسلام وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن اليهم فى أحواله والمهم من أشغاله حتى ان الناظر فى مطبخته رجل من المسلمين وله جملة من العبيد المسلمين السود وعليهم قائد منهم ... ومن عجيب شأنه أنه يقرأ ويكتب العربية وعلامته على ما أعلمنا به أحد خدمته المختصين به : « الحمد لله حق حمده » . وكانت علامة أبيه : « الحمد لله شكرا لأنعمه » ... الى غير ذلك من الوصف المرتبط بتعلقه بالمسلمين أو بوصف مدن أخرى عليها وفيها ظلال الاسلام والمسلمين ويروى ابن جبير فى ثنايا كتابه حادثة تهز القلوب هزا وتملأ النفوس لوعة وضنى وإشفاقا للحال الذى وصل اليه المسلمون فى صقلية وما هم عليه من سوء وضع وهذا دليل قرب الزوال والاندثار يقول :

« ومن أعجب ما شاهدناه من أحوالهم التى تقطع النفوس اشفاقا ، وتذيب القلوب رأفة وحنانا ، أن أحد أعيان هذه البلدة وجه ابنه الى أحد أصحابنا الحجاج راغبا فى أن يقبل منه بنتا بكرا صغيرة السن قد راهقت الادراك ، فان رضيها تزوجها وإن لم يرضها زوجها ممن رضى لها من أهل بلده ويخرجها مع نفسه راضية بفراق أبيها وإخوتها ، طمعا فى التخلص من هذه الفتنة ورغبة فى الحصول فى بلاد المسلمين . فطاب الابن والاخوة نفسا بذلك لعلهم يجدون السبيل للتخلص الى بلاد المسلمين بأنفسهم اذا زالت هذه العقلة المقيدة عنهم.

«فتأجر هذا الرجل المرغوب اليه بقبول ذلك وأعناه على استغنام هذه الفرصة المؤدية الى خير الدنيا والآخرة ؛ وطال عجبنا من حال تؤدى بانسان الى السماح بمثل هذه الوديعة المعلقة من القلب واسلامها الى يد من يغربها ، واحتمال الصبر عنها ومكابدة الشوق اليها والوحشة دونها ، كما استغربنا

حال الصبية صانها الله ورضاها بفراق أهلها رغبة فى الاسلام ، واستمساكا بعروته الوثقى » .

وبانتهاء عهد ملوك النرمان بصقلية الذى دام قرابة المائة عام ، ازداد الاضطهاد والتعدى على المسلمين ، كل ذلك بأمر الكنيسة وبالتأثير المباشر من واقع الحروب الصليبية لكنهم ثاروا من جديد سنة 1200 م. ، غير أنه سرعان ما غلبوا على أمرهم ثم أعادوا الكرة فيما بين سنوات 1221 و 1225 م. والنتيجة كسابقتها . لكن الامبراطور فريديريك الثانى الذى نشأ نشأة صقلية عربية حيث كانت أمه كنستنسا صقلية النشأة والمسكن بعث بالكثير من المسلمين والمسلمات الى إيطاليا بلغ تعدادهم قرابة الستين ألفا ثلثهم من رجال السيف والحرب كل ذلك ليقاوم بهم أعداءه بالبلاد الايطالية وبصنيعه هذا انتشرت البلبلة فى صفوف المسيحيين وفى مقدمتهم البابا الذى كان يحاول جمعهم لمقاومة المسلمين وأعلن البابا كفر الامبراطور ، لكن بعد مشاركة الاخير فى الحرب الصليبية بفلسطين وتأسيسه مملكة صقلية . ثم واصل السعى لاسترضاء البابا بعد تمكنه من صلح المسلمين ببيت لحم والناصرة وكان ذلك على يد سلطان مصر الملك الكامل . وتمثل الاسترضاء فى طلب الغفران ونسيان الماضى • وبتمكين رجال الكنيسة من ضعف فريديريك قاوموا المسلمين مقاومة جد عنيفة ونكلوا بهم شر تنكيل وابتدأت النهاية بمغادرتهم للجزيرة متى سنحت الفرصة ؛ وحين بلغ الامر السلطان الحفصى أبا زكرياء بن أبى محمد سعى لعقد صلح مع الامبراطور يتم بمقتضاه احترام حرية الدين والحفاظ على الاملاك . وما أن قضى السلطان نحبه فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ( 647 ) هـ. ( 1260 ) م. حتى وقع نقض العهد ، وانقض النصارى عليهم شر انقضاض ورغم المقاومة العنيفة الا أنه كانت الغلبة للنصارى . وفى الاخير أركبوا البحر الى سواحل افريقية وكان هذا أيضا مصير مسلمى مالطة الذين تم اخراجهم عنوة وقسرا من الجزيرة وتم ترحيلهم الى تونس • ومنذ هذا الحين انتهت الكلمة للمسلمين بجزيرة صقلية ولم تعد لهم قوة تذكر ولا شأن يسجل .

واثر وفاة الامبراطور وتولى الملك شارل مكانه عمد هذا الاخير الى التخلص من المسلمين نهائيا فى ايطاليا فأركب منهم البحر الى افريقيا سنة 1292 م. والبقية الباقية أجهز عليها جنده قتلا ونهبا لمتاعهم وأرزاقهم . وهكذا هى النهاية بايطاليا كما هى بصقلية . واذا ما عرجنا على حال التمدن والعمران

بصقلية وما ترك المسلمون فيها من أعمال خالدة فانه يعسر علينا الاحاطة بما نبغي لكن تكفي الاشارة الى أن المسلمين قاموا بالتنظيم الادارى على أحسن وجه وركزوا القضاء والجباية ووفروا العدل والتسامح الدينى وقاموا باصلاحات كبرى فى الصناعة وكذلك فى الزراعة حيث أدخلوا لها غراسة القطن وقصب السكر وابتكروا قنوات الرى وازدهرت التجارة وتنوعت . وباعتراف مؤرخ أوربى فان جزيرة صقلية قد «أصبحت تحت أيدى المسلمين جنة من رياض الشرق اليانعة » . وكفانا أيضا مؤونة البحث والاستقصاء الرحالة والجغرافى الكبير محمد بن عبد الله الادريسى المغربى (2) حيث ترك كتابه : ( نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ) والذى ألفه بطلب من الملك النرمانى روجار الثانى ودقق فيه الوصف لمدن صقلية أواخر الحكم الاسلامى وأوائل العهد النرمانى . وكذلك ياقوت الحموى فى كتابه ( معجم البلدان ) . وإن الحديث يطول عما كان لهذه الجزيرة من رجال سواء فى الادب أو العلم أو الفن واستحقت بهم الجزيرة ـ كما قيل ـ لقب : «باب الشرق للتوغل فى الغرب».

وكان أشهر علماء الجزيرة على الاطلاق قسطنطين الصقلى أو قسطنطين الافريقى وليد تونس سنة 400 هـ. كان تاجرا من تجار المسلمين ؛ استقر بالجزيرة فى تجارة له لكن سرعان ما تفرغ لترجمة الكتب العربية فى الطب الى اللاتينية بعد اتصاله بأمير الجزيرة «جيزولف» الذى وجد منه كل تشجيع فترجم كتاب « زاد المسافر » لابن الجزار (3) حيث أصبحت طريقة هذا الطبيب



(2) توفي ودفن ببالرم Palerme سنة ( 568 هـ. / 1180 م. ) .

(3) هو أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خالد المعروف بابن الجزار من أهل القيروان . لم تحدد سنة ولادته الا أن وفاته كانت على الارجح سنة ( 395 هـ. 1004 م. ) عن سن تناهز الثمانين عاما قضاها فى صناعة الطب وتدريسه وتدوينه . كان قد هم بالرحلة الى الاندلس ولم ينفذ ذلك وكان يذهب فى كل عام الى المنستير ويمكث هناك طول أيام القيظ ثم يرجع الى القيروان عاصر ثلاثة من ملوك الدولة العبيدية واثنين من ملوك الدولة الصنهاجية . من كتبه الطبية كتاب ( قوت المقيم ) وكتاب ( طب الفقراء ) وكتاب ( الاعتماد فى الادوية ) الى غير ذلك من الكتب التى لم يبق منها الا كتاب ( زاد المسافر ) .
ـ انظر النشرية الخاصة بحياة هذا الطبيب والتى كتبها الدكتور أحمد بن ميلاد ـ مطبعة سوق البلاط ـ تونس ـ 354 هـ.

منتشرة فى أوربا كلها ، كذلك ترجم كتبا أخرى للرازى واسحاق بن سليمان وازداد اتساع علم قسطنطين حتى ألف قرابة الاثنين وعشرين كتابا وأسس مدرسة سالرنا : SALERNE للطب حيث أضحت مركز اشعاع طيلة قرون .. وكانت وفاته بالجزيرة سنة 475 هـ. 1084 م. بالتحديد بدير جبل كاسان الذى تفرغ فيه للكتابة وللترجمة والذى حطمته الحرب العالمية الاولى وتركته أنقاضا

هذا وقد ترك أبناء الجزيرة من الشعراء قصائد مؤثرة فى وصفها وذكر معالمها .

يقول الشاعر عبد الرحمان بن عمر الذى عاش أيام روجار ، واصفا حياة الجزيرة متغنيا بها وبجمالها :

**أدر العقيق العسجديه وصل اصطباحك بالعشيه**
**واشرب على وقع المثانى والاغانى المعبدية**
**ما عيشة تصفو سوى بذرى صقلية هنية**
**فى دولة أربت على دول الملوك القيصرية**
**أعجب بمنزلها الذى قد أكمل الرحمن ريه**
**والملعب الزاهى على كل المبانى السندسية ...**

* * *

ويقول الشاعر الفنان عبد الرحمان بن أبى العباس فى قصيد رائق يصف فيه حياة بالرم وقصر الفوارة التابع لقصر المعتزية وقد كان متنزه ملوك صقلية المسلمين :

**فوارة البحرين جمعت المنى عيش يطيب ومنظر يستعظم**
**قسمت مياهك فى جداول تسعة يا حبذا جريانها المتقسم**
**فى ملتقى بحريك معترك الهوى وعلى خليجيك للغرام مخيم ...**

الى ان يقـول :

**يا نخلتى بحـري بلـرم سقيتمـا صوب الحيا (4) بتواصل لا يصرم**
**هنيتمـا امـر الـزمـان ونلتمـا كـل الامـانى والحـوادث نـوم**
**بالله طيبا واسترا أهـل الهـوى فبأمـن ظلكمـا الهـوى يتحـرم**

* * *

وهذا ابن صقلية البار أبو العرب مصعب ابن محمد بن أبى الفرات القرشى الذى كانت ولادته سنة 464 هـ وأنهى حياته باشبيلية بعد أن أم بلاط المعتمد بن عباد ووجد لديه العناية والاكرام . قال فى مدحه وذكر بلاده الأم :

**الى م اتبـاعى للامـانى الكـواذب وهذا طريق المجد بـادى المـذاهب**
**أهم ولي عزمـان ، عـزم مشـرق وآخـر يغـرى همتـى بالمـغـارب**
**ولا بد لي أن أسال العيش حـاجة يشـق علي إخفـاقهـا والغـوارب**
**علـي لآمـالي اضطـراب مؤمـل ولكـن على الاقـدار نجح المطـالب**
**فيا نفس لا تستصحبى الهون إنه وإن خدعت أسبابه شـر صاحب**
**ويـا وطنـى إن بنت عني فـانني ساوطن أكوار (5) العتاق النجائب**
**اذا كان أصـل من تـراب فكلهـا بـلادى وكـل العـالمين أقـاربى**



* * *

وهذا الشاعر عمر بن رحيق الصقلى المنشا وقد هجر الجزيرة حين افتكاكها من طرف النرمان . يقول متحسرا عنها :

**نفسى تحـن الى أهـلى وأوطـانى وهـل رأيتـم محبـا غيـر حنـان**
**كانوا بقلبـى أحيـاء وفى كبـدى نار تاجج من شجـوي وأحـزانى**
**ما ضر حين نأوا لو ودعـوا دنفـا رهن الحواث فيكف الهوى عانى(6)**
**عز اصطبارى لرزء قـد دهيت بـه وبان عنىلو شكالبينسلوانى [كذا]**

* * *

---

(4) الحيا ـ المطر .
(5) أكوار جمع كور ـ الرحل العتاق من الخيل ـ نجائب : يعنى أنـه يـوطن سروج الخيل النجائب .
(6) العانى : الأسير .

وهذا علم سرقوسة الشاعر الاديب عبد الجبار بن حمديس الذى ولد سنة 446 هـ. وشاهد ضياع صقلية الجنة الساحرة وملكها التالد يترك لنا شعرا عد ملحمة من أحسن ما أبدع الشعراء من ملاحم وقد توفى سنة 527 هـ بعد أن جاب بلاد المغرب والجزائر وتونس والاندلس واتصل بملوكها وأمرائها ، وكان كلما حل ببلاد تذكر صقلية وحرص على مناصرتها وإعانتها وافتكاكها من أيدي الغزاة ـ يقول فى قصيد يذكر شبابه وشباب صقلية :

قضت فى الصبا النفس أوطارها وأبلغها الشيب انذارها
وما غرس الدهر فى تربة غراسا ولم يجد أثمارها
نعم واجيلت قداح الهوى عليها فقسمن أعشارها
فافنيت فى الحرب آلاتها واعددت للسلم أوزارها

ويقول وقد حن للجزيرة :

ذكرت صقلية والأسى يهيج فى النفس تذكارها
ومنزلة للتصابى خلت وكان بنو الظرف عمارها
فان كنت أخرجت من جنة فانى أحدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكاء لخلت دموعى أنهارها

وأمام جنته المفقودة يقول :

فبت من الليل فى ظلمة فيا غرة الصبح هاتى الضياء
ويا ريح إما مريت الحيا ورويت منه الربوع الظماء
فسوقى إلي جمام الغيوم لأملأها بالدمع ماء [كذا]
وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها لا الشقاء
اذا أنا طالعت منها صباحا تعرضت من دونها لي مساء
فلو أننى كنت أعطى المنى اذا منع البحر منها اللقاء
ركبت الهلال به زورقا الى أن أعانق فيها ذكاء

ويقول أيضا متوجعا وكله حنين وشوق :

**أمثلهـا فى خاطـرى كـل سـاعة وامري لها قطع الدموع السواكب**
**أحـن حنين البنت للمـوطن الذى مغـانى غـوانيه اليـه جـواذبـى**
**ومن سار عن أرض ثوى قلبه بهـا تمنى لـه بالجسم أوبـة آيب ...**

الى غير ذلك من الشعر الذى يكتب بماء الذهب وأكثر حول هذه الجزيرة(7) الضائعة وما قام به أبناؤها الاولون من أعمال خالدة فى سبيل تركيز دعـوة الاسلام ونشر مبادئه السامية الجليلة . ولنختم برثائه لها إثر يأسه من إنقاذها نهائيا وانتشالها من أيدي الأعداء :

---

(7) من المراجع التى اعتمدناها فى بحثنا هذا دورية : « تقويم المصور » الجزء الرابع ـ تونس 1926 ـ أحمد توفيق المدنى ( بحث عن التاريخ الاسلامى بصقلية ) .
ويشير الاستاذ المدنى فى مقدمة كتابه : « المسلمون فى جزيرة صقلية » نشر مكتبة الاستقامة ـ تونس ـ المطبعة العربية ـ الجزائر ـ 1365 هـ. الى بعض الدراسات الهامة التى ألفها المستشرق الايطالى الكبيـر ميكـائيل عماري ( 1706 م. ـ 1889 م. ) مثل كتابه : « المكتبة العربية الصقلية » نشر سنة 1858 م. بليبزا .
وقد جمع فيه أكثر ما تناثر فى كتب العرب من أخبار صقلية والصقليين أيام دولة المسلمين وكـذلك كتـابه الضخـم : « تاريـخ المسلميـن فى صقلية » والذى حوى خمسة أجزاء كاملة .
ويذهب الاستاذ المدنى الى الاعتقاد بأنه لا يتسنى للعـرب الاطـلاع على حقائق ودقائق تاريـخ مسلمى صقليـة يتـرجم للغـة الضـاد كتـاب عماري الحافل الثري .
هذا والملاحظ أن لهذا المستشرق كتبا أخرى مثل : « الآثـار العـربية المنقوشة على الحجارة بصقلية » .
وكتاب : « مذكرة عن حوادث التاريخ فى القرآن الكريم » مع ترجمته الى الايطالية لكتابى : « سلوان المطاع » لابن ظفـر ، و « رحلـة ابن جبيـر بصقليـة » .

أعاذل دعني أطلق العبرة التي | عهدت لها من أجمل الصبر حابسا
أود لأرضى أن تعود لقومها | فساءت ظنوني ثم أصبحت يائسا
وعزيت فيها النفس لما رايتها | تكابد داء قاتل السم ناحسا
صقلية كان الزمان بلادها | وكانت على أهل الزمان محارسا

الى آخر القصيد وقد تحسر فيه على هذا الضياع وكيف يصبح حال العرين الذي يغيب عنه ليثه فتصبح فيه الذئاب مائسة مترنحة .

وبالجملة فتلك هي بعض الذكريات من أعمال مجيدة خالدة حواها موجز للتذكير بهذه الجزيرة المفقودة ، ولم يتسن الحديث عن كل رجالاتها ترجمة بتفصيل ونأمل ذلك في القريب ولله الامر وتدبير الشؤون من قبل ومن بعد.

محمد أنور بوسنينه



---

كذلك نشير الى الدراسة القيمة التي كتبها الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بمدينة الجزائر سنة 1905 . ومحتواها بحث عن مسلمي صقلية وما كان لهم من أثر محمود في ميادين العلم والمدنية .

كذلك نشر الاستاذ عبد الوهاب سنة 1910 القسم المتعلق بالشمال الافريقي وجزيرة صقلية من كتاب : « أعمال الاعلام » لابن الخطيب مع هوامش مفيدة باللغة الفرنسية ، متداركا بذلك ما سها المستشرق ميكائيل عن ذكره في كتاب : « المكتبة العربية الصقلية » .
ـ انظر أيضا ترجمة عن حياة أسد بن الفرات للاستاذ أحمد المهدي النيفر ـ مجلة « الثريا » ـ العددان 7 و 8 ـ السنة الاولى 1362 هـ. ومن الدراسات الحديثة أيضا ما كتبه الدكتور طه الحاجري بعنوان : « أسد بن الفرات » ـ مجلة « العربي » ـ العدد 54 ـ سنة 1963 ـ ص 50 ـ وكذلك الدراسة التي نشرها عضو المجمع العلمي العراقي اللواء الركن محمود شيت خطاب بعنوان : « الفقيه القائد أسد بن الفرات » ـ مجلة « العربي » ـ العدد 104 ـ سنة 1967 ـ ص 104 .

# مِن مذكرات شاعر في المستودع

شعر: ممدوح مولود

على هامش مأساة الحضارة المعاصرة ،
وتدهور الاخلاق والقيم والمثل العليا..

يـا للتناقض فى دنيـا قد انقلبت ! وكيف لا .؟ كيف لا تهوي وتنقلب !؟
لقد طوى الـزيف فيها كل مكـرمة وناب ـ واعجبى ـ عن رأسها العقب
فلا تكاد تـرى فيهـا سـوى صـور بـراقـة خلفهـا الاهـوال تحتجـب
كأنمـا الحـق فى أيـامنـا عـبـث نسعى اليه ، ولكـن دونـه السحب
كانمـا الصـدق فى أيامنـا سفـه لا مثلمـا تبـدع الاقـلام والكتـب
وليس من كل هذا الزيف بى عجب ونحـن من ذا الى الجـوزاء ننتسـب
لكننى من سقـوط الحـق فى عجب وفى ذهول ، ومن لا يجرف العجب؟!
عجبت للحق يهـوى دونمـا أسـف ودون دمـع ، كـأن الحـق مغتـرب
كما عجبت لبلوى الصدق فى زمـن قد شوه الصدق فيه اللزؤم والكذب

* * *

عفـوا أبـا الخنجـر الـدامى ومعذرة إن لم أقدم لـك الـزلفى كما يجب
عفـوا ومعـذرة يـا سيـدى فأنـا ما ضمنـى قط يومـا بالخنـا نسـب
رأسى سيبقـى الى الجـوزاء شـامخه ولـن تزعـزع مـن عليـائه النـوب
وكبريـائى قـلاع كلمـا اقتـربـت منها الاعـاصير بالخـذلان تنسحـب
أين السهام التى أطلقت طـائشة ؟ وأين تلك الرماح الهوج والصخب ؟
أين التعـالى الذى قد كنت ممتلئـا ؟ حقدا به ضاريا يرغـو بـه الغضـب
وأين سخط كريـه كنـت مندفعـا مقتا بغيضا بـه لم تسمع الحقـب ؟

وأين نيرانك الهوجاء ماطرة     كانها لعنة يلظى بها اللهب ؟
بل أين كل الذى أبديت من صلف ؟     كانك الرب لا يعصى له طلب
أرنو اليها فلا ألقى سوى صور     يضج سما زعافا وجهها الكئب
قد طاش وعيك حتى لا تكاد ترى     ولا تعي كل ما قد رحت ترتكب
يا للحقوقى ماذا قد دهاه ؟ وهل     أودى به الافن حتى بات يضطرب ؟
ماذا ألم به ؟ بل أى معضلة     حاقت به فمضى يعدو ويصطخب ؟
ماذا ألم به حتى غدا لهبا ؟     وكاد من حوله أن يحرق اللهب
انى لالقاه كالبركان منفجرا     يكاد غيظا على من حوله يشب
ماذا دهى سيد القانون ؟ فانطلقت     منه السهام حدود الحق تغتصب
ماذا دهاه فلم يعبأ بما ارتكبت     أيديه من كل اثم ليس يرتكب ؟
لو رحت أحصى الذى قد راح مقترفا     لما كفت كلها الاسفار والكتب
ولو نسيت فما الذكرى بغائبة     وفى الحنايا صداها المر ينتصب
ما دام من يحرس القانون منحرفا     فليس بالفدم يجزى اللوم والعتب

* * *

عفوا أبا الحملة الكبرى ومعذرة     ان لم يحرك قصيدى اللهو والطرب
أثخنت روحى أسى ، دمرتها ألما     فكيف منها ترى الانغام تنسكب
أغراك صمتى ، كما أغراك بى أدب     كم ذا تعبت به حتى اشتكى التعب
ومن سما أدبا تلقاه معتصما     بالحلم ، والحلم بحر شطه النصب
علمتنى .. زدتنى علما ومعرفة     فانت فى العلم بحر هادر لجب
علمتنى أن أرى فى الصدق موبقة     أولى بها أن يحل السخط والغضب
علمتنى أن أرى فى النبل معصية     وليسقط النبل والاخلاق والادب
علمتنى أن أرى فى الزيف مئذنة     بها من الله والايمان نقترب
وأين من علمه يهدي لمكرمة     ممن أرى علمه الآثام يرتكب ؟!
أتيت كلية الآداب مغتربا     لعلنى واجد ما كنت أرتقب
لكننى قد وجدت الامر منقلبا     فى واقع كل شىء فيه ينقلب
وما أشق اغتراب المرء فى زمن     يرعى العدالة فيه المنطق الخرب

ممدوح مولود
( حلب )

# هوميروس الشاعر الخالد

بقلم: الناصر التومي

- 2 - (*)

اشتدت الحاجة بـ « هوميروس » فرثت حاله وأصبحت ثيابه اسمالا بالية ، وهزل جسده من الجوع وكثرة الترحال التى هدت جسمه . وصادف ان حل ببلاد فانشد على باب احد دكاكينها شعرا ، وقد كان يمقت ان يكون شعره تجاريا أو أداة للتسول ، ولكن الجوع الملعون ارضخه لما كان ينفر منه ويأباه.

اصغى صاحب الدكان ـ وهو تاجر ـ لهذا الكفيف الذى انشد فأحسن الانشاد وأبقت معانيه المؤثرة فى نفسه شوقا الى سماع المزيد مما دفعه الى استضافته الايام وقدمه الى بعض اصدقائه ومعارفه فانشد لهم من قصائده مما اضطرهم الى ابقائه فى رحابهم اياما اخرى ، ثم ارتحل عنهم وحل ببلد آخر ، وأقام فى ضيافتهم اياما وأياما ، فأسعف بنجاح عظيم ما كان ليتصوره خياله ، نجاحا دفعه الى قمة المجد واعانه سخاء أهل المدينة على استقرار أمره .

أبت الآلهة الا ان تضع امام « هوميروس » العوائق لتمتحن صبره وجلده على تحمل نوائب الدهر وقد صمد امام الكثير منها ، وتمثل هذا العائق الجديد فى عريف اشتهر بفساد الاخلاق وبالسمعة المشبوه فيها وحاول ان يرتقى بشعر « هوميروس » الى ذروة المجد . استضاف « هوميروس » فى بيته واستبقاه مدة طويلة من الزمن ومقابل هذا ، اسماعه كل ما نظم من شعر ، وقد قبل « هوميروس » هذا الشرط مضطرا لافتقاره الى معين ينصفه من طمع الطامعين . وقد أراد العريف تبني اشعار الشاعر الكفيف لكسب الشهرة المزيفة ولكن أمره اكتشف بعد مدة قصيرة من طرف أهل المدينة الذين عرفوا ان هذه الاشعار هى لضيف المدينة الكفيف .

---

(*) تابع لما نشر فى «الفكر» ع : 4 ـ س 28 ـ جانفي 1983 .

حل « هوميروس » بجزيرة ـ يوس ـ فقوبل بحفاوة منقطعة النظير من أهل الجزيرة فأكرموا وفادته ورفعوا من شأنه بعدما تحققوا من ان هذا الشاعر الكفيف لم يكن يجوب ربوع بلاد اليونان طلبا للصدقة والاحسان ، بل هو شاعر وحكيم تزخر اشعاره بعظمة الآلهة وحكمتها وبمدح الابطال اليونانيين وصراعهم مع الاعداء وانتساب بعضهم الى الآلهة . ان اشعاره تسحر السامع فتنسيه حاضره وترجع به الى الماضي وتصعد به الى «قمة الاولمب» ليحضر اجتماع الآلهة وهي في صراع مع بعضها البعض ثم وهي تقرر مصائر البشر شقاوته وآلامه وانتصاره وانهزاماته ثم تسرع به بعيدا نازلة على أجنحة موسيقى القيثارة الذهبية الايولينية الى بلاد اليونان حيث تنعكس قرارات الآلهة على تصرفات البشر ، فتحترق قلوب من وهج الحب وتسعد فئة ، وتشقى فئة ، ويقدم بعضهم على ارتكاب حماقات تؤدي الى حرب يتحطم فيها الابطال وتتهاوى اسوار المدن ، وكل هذا وليد ارتجاج قلبين بالحب ، والكلمة الاولى والاخيرة للآلهة ، فهي وراء كل شيء وعلة كل حركة .

لما وجد « هوميروس » من أهل جزيرة ـ يوس ـ احضانا رحيمة ، رأى من الاصلح الاستقرار في كنفها استجابة لرغبة سكانها ، لتنهل من حكمته وتستمتع بأناشيده السماوية الساحرة .

أصبحت أناشيد « هوميروس » في جزيرة ـ يوس ـ ، يتغنى بها في الاحتفالات والاعياد الدينية لعدم توفر الاناشيد التي تصلح لهذا الغرض في مدح الابطال وتعظيم الآلهة . وأبت الآلهة الا ان تعفيه من سني الظلام التي عاش فيها حتى يلتحق بعالم الاموات بعد ما بلته بمرض لازمه حينا من الزمن حتى اسكت حركته .

جزعت أهالي ـ يوس ـ بفقدها لشاعرها الكفيف ، ودفنوه في اجلال منقطع النظير ، ورفعوا من شأنه حتى ألهوه واصبحوا يقيمون له عيدا كل سنة في ذكرى دفنه فتنشد فيها الاناشيد من نظمه أو من نظم شعراء آخرين في مدحه وفي تعظيمه وتأليهه ، ثم أتوا الى قبره وغرسوا نباتا على جوانبه وحفروا على القبر هذه الجملة :

(ان هذا النبات الاخضر غطاء للرأس المقدس ، رأس شاعرنا «هوميروس» شبيه الآلهة) .

ولم يقف أهل ازمير لهذا التأليه والاجلال بل اقدموا على سك النقود باسمه ورسمه ، وبنوا له هيكلا يخلد ذكره على طول الزمان ، وأطلقوا عليه اسم « الهوميروم » ومعناه « هيكل هوميروس » .

لقد اجمع النقاد على ما ذكرنا فى نشأة « هوميروس » ، وقد جلى هذا الغموض على النقاد أبو المؤرخين « هيرودوت » لكن عدة نقط بقيت تحيرنا فتبعث فينا التساؤل وتدفعنا الى البحث والتنقيب رغم عجز من سبقونا فى هذه الدراسة من رواد النقد قديما وحديثا .

لقد نسب « هوميروس » الى الآلهة وعد من نسلها ، فقالوا : ان أباه هو النهر «ميليس» وهو إله وفى قول آخر يقال : من الجن . وانتساب الشاعر الى الآلهة ليس من الاشياء التى تبعث على الاستغراب.فاليونانيون كانوا ينسبون أبطالهم وأجمل نسائهم وشعرائهم العظام الى الآلهة ، لانهم يعتقدون ان الانسان لا حيلة له فى الامر وانه انسان مسير غير مخير ، فلا يقدر ولا يجرؤ فى ان يقرر . فالآلهة وحدها هى التى تهبه ما تريد أو تسلبه ما تريد . فالابطال يمتلكون قوى عظيمة وجبارة وهى ميزة لا توجد عند كل الناس ، فالآلهة هى وحدها القوية والجبارة ونسلها هو صاحب هذه الميزة والامثلة كثيرة فى هذه الظاهرة « فهرقل » صاحب الحراب الالهية وكذلك البطل « اخيل » الذى شارك فى الحرب الطروادية الاغريقية وقتل البطل الطروادى « هكطور » وكذلك « أوديسيوس » صاحب خدعة الحصان و « منيلاوس » زوج « هيلانة » التى من أجلها وقعت الحرب بين الطرواد والاغريق وكثيرون غيرهم، وهؤلاء جميعا هم من سلالة الآلهة .



الجمال لدى اليونانيين هو ملك للآلهة « افروديت » ، واذا ظهرت جميلة بينهم ، نسبوها الى الآلهة ، فـ « هيلانة » سليلة الآلهة وكذلك اختها « كليمنسترا » قاتلة زوجها « آغا ممنون » .

اما الشعراء فلا أتذكر من إله سوى « هوميروس » لانه امتلك ناصية الشعر والحكمة وهاتان الميزتان هما من نصيب الآلهة « أثينا » إلهة الحكمة ، فالآلهة وحدها القادرة على ما توصل اليه « هوميروس » ولا يمكن ان يكون شاعرنا من سلالة الانسان والا فكيف يصل الى ما وصل اليه من عظمة الآلهة

فقط ؟ ولقد رأينا في الكلمات التي حفرها أهل جزيرة ـ يوس ـ اجلالا وعبادة وتقديسا للشاعر «هوميروس» ، وقد ظهر هذا في لفظة ـ المقدس ـ والتي لا يمكن ان تطلق الا على الآلهة ومعابدها ومحاربها ولا يمكن ان تطلق على بشر من غير سلالة الآلهة ، ثم نرى بعد ذلك كلمتين تجلوان عنا الشك في صحة تاليه « هوميروس » ـ شبيه الآلهة ـ فقد شبهوه بالآلهة ، وهل يعقل ان نشبه أي كائن بشرى الآن في عصرنا هذا بالآلهة انه لا يمكن ان يحدث بأية حال من الاحوال ، فالتشبيهات بالاله تعد من الكفر والهرطقة ولا يمكن ان تستسيغها القلوب المتدينة ، والعقول تنفث هذه التشبيهات حتى ولو كانت لا تؤمن بوجود الاله والقلوب غير المؤمنة تنقبض لسماعها . فأهالي جزيرة ـ يوس ـ ألهوا «هوميروس» بتشبيههم هذا ، وهو في نظرهم من سلالة الآلهة ، فأشعاره تعجز عن نظمها البشرية وهي من وضع بشر لا كسائر البشر .

اما ارسطو فقد نسب « هوميروس » الى الآلهة في قوله المذكور سالفا في ان أمه عندما سبيت كانت حبلى من احد الآلهة ، وهو يقول ايضا : بأن اشعار «هوميروس» نزلت من السماء قبل ان يولد قائلها وقد رأت الآلهة بأن يكون من نسلها بشر يعيش على الارض ، ينشد اشعارا لا يمكن ان تكون من نظم بشر عادي ، فالآلهة ملهمته وهي التي تهبه هذه الشاعرية غير العادية .



لقد رأينا « هوميروس » يشجعه صديق له على السفر والتجوال وقد كان ربانا ولكننا لا نعرف هل ان «هوميروس» قام بجل الرحلات البحرية في صحبة صديقه الربان أو فارقه في سفرة من السفرات وكل ما نعلم انه ربما فارقه عندما أصيب « هوميروس » بمرض الرمد وأودعه الى صديق له هو « منطور » وعند ذلك الفاصل التاريخي اصبح مصيره مرتبطا بصراعه وصلابته في تحمل عوائق الدهر ونوائبه .

نحن لا نعرف شيئا عن الأب الحقيقي لـ « هوميروس » ، فلا يعقل ان يكون النهر « ميليس » أباه اذا كانت أمه من سلالة البشر ، فنحن هنا نترك اعتقادات اليونانيين ونبحث عن الحقائق بالعقلية المعاصرة والاكثر احتمالا ان الأب توفي في طفولة الشاعر لان الأم تزوجت مرة أخرى وهو لا يزال صبيا لا يفقه شيئا فكان ان وجد زوج أمه العريف الذي اكتشف ذكاءه ونبوغه فسخر من وقته وكل طاقاته لاستغلال هذه الميزات المنقطعة النظير في الصبي . اذن لم يشرف الاب الحقيقي على تربية «هوميروس» فقد فقده الصبي وهو صغير .

بعد ان توفي زوج الأم والتحقت هي بدورها بعالم هادس بدأت رحلات الشاعر ، شعر ان القيود التي تعوقه عن السفر قد اضمحلت وتلاشت ، ولكن لا نعلم هل كان للشاعر أخوة أم لا !؟ والارجح ان أمه لم تنجب سواه ولو كان عكس ذلك لتغيرت الامور كليا ، فالعريف لن يتزوج الأم اذا كانت لها عدة أطفال وهو لم يقدم على الزواج منها الا بعد ان سحر بنبوغ الصبي وليس حبا فيها ، وهذا مجرد افتراض ليس الا .

لقد ترك « هوميروس » وراءه عالما من الغموض يحف بوجوده وبنشأته ، وقد تمثلت في الاماكن التي حل بها ، بأعماله التي لا تزال الى الآن منارا تضيء عصره وتخرجه من منطقة الظلام .

رغم كل ما كتب عن الشاعر الخالد وعن أعماله ، لا تزال آلاف الاسئلة ترقص في الاذهان وهي مرسومة في كل الصفحات التي كتبت عنه ، ولعل العصور المقبلة تكون منصفة أكثر للشاعر الكفيف أكثر مما فعلت العصور الفائتة .

**الناصر التومي**



---

المصـــادر :

- مجلة العربي ، عدد 195 « هوميروس » شاعر الاغريق الاول ، ص 116 .
- كتاب سليمان البستاني والياذة هوميروس، تاليف : ميخائيل صوايا .
- الالياذة ، تقديم وترجمة نثرية للكاتب : دريني خشبة .

## مطالعات



# رواية « عائشة »



حضرة أخي الفاضل الأكرم البشير بن سلامه ،

أيده الله بحسن عونه وبعد ،

لقد انعزلت فى القيروان بضعة أيام بحثا عن « الجذور » فكأني رغم إيماني بما أعمل هنا فى العاصمة محتاج الى الانغراس من حين لآخر فى ذلك التراب العبق الذى احتضننا حفاة عراة أيام الطفولة الصعبة ... لعلنى أيضا لهـذا السبب النفسى طالعت « عائشة » فوجدت فيها نفس هذا البحث عن الجذور ، بمفهوم المسلسل الامريكى (Roots) لكن بأكثر عبقرية مكنتك وأنت الكاتب المثقف من ان تطوع اللغة العربية لهذا البحث عن الذات ، وأنت أشبه بالساري ليلا وفى يدك قنديل اللغة تضيء به ما استطعت من ظلمات الذاكرة والفكر وخلجات الضمير وهواجس الماضى القريب والبعيد .

ولكم شدتنى بعض الصور شدا ، حتى احسست كأني كاتبها لا قارؤها ، وكأني مبدعها لا مستهلكها كقولك فى ص 13 : « وأسرع للارتواء من ليـونة الليل قبل ان تبددها الحرارة ... »

أو قولك فى العصا ص 24 : « اذ لها ثلاثة فروع صغيرة فى أسفلها تزيد عن المآرب المذكورة فى القرآن ، فهى صالحة لاقتطاف التين الهندي ... »

أو وصفك « للحنايا » الواقفة الصامدة بالانسان الذى « ... كلما اشتدت به الدنيا واذاقته مرارة العيش وسقته من المذلة والمهانة ألوانا وصبر على ذلك ... وقدر على الصمود الا وانتشلته فى آخر الامر وبدلت عسره يسرا ... ( ص 35 ) »

أو قولك ( ص 49 ) عن النوم : « الذى تدفعه فيهجم عليك وتضربه بسياط اليقظة فيتنمر ويكتسحك لتغرق فى الاحلام أو النوم الثقيل ... »

ولا أخفيك حضرة الاخ الاعز انني ما زلت أواصل المطالعة ، فكأني أصبحت إلفا لهؤلاء الناس الذين صورتهم بصدق بليغ ودقة متناهية ، حتى كدت أسمعهم يتهامسون أو يتناجون وقد فتحت لي ما انغلق من أبواب اسرارهم وأحاسيسهم وعواطفهم ... بتلك اللغة العربية التى أردتها مشكولة لا تقف عند تعبير شعبي ولا تستنكف من عبارة متداولة ، ولا تخشى الاستطراد للتأمل فى تركيبة المجتمع تأملا سياسيا أو حضاريا لا يبعد بك عن الادب بل يكشف طبيعة رجل السياسة فيك مهما حاولت ــ محقا ــ تورينها فى فصول « عائشة » ومن ذلك حديثك المستطرد فى ص 39 : « عالمان اثنان التقيا فى هذين الشخصين : عالم البلدية وعالم ساكني الارياف هما ركيزتان لتونس الخالدة امتزجا منذ الدهور ... »

ومن هنا تتجلى من خلال الاسطر والمعانى ما يسميه الاعاجم (Toile de fond) لكامل الرواية وأقصد ما سميته أنت « تونس الخالدة » فاذا بقارئك يلج باب حضارة من خلال رواية ، واذا به أيضا ينعرج للتأمل فى تراث من خلال أحداث ، وتمده أنت بمفاتيح « تونس الخالدة » وهو يظن أنك تمنحه مفاتيح كتاب صغير ذى 190 صفحة .

أخي الأكرم الأجل البشير بن سلامه ،

لعلني لا أبالغ اذا أكدت دون احتراز ان معنى آخر من معانى « عائشة » هو الايمان بالقيم المثلى ، تلك القيم التى تجعل المرء إنسانا ، وتنمي جانب التقوى فى النفس التى سواها الله على حساب جانب الفجور . تلك القيم التى لخصتها فأحسنت تلخيصها عند نطقك بلسان الازهر لـ « عائشة » ص 168 حين قال :

« نعم أنا فلاح بسيط ولكنني قرأت وتأملت هذا الكـون وهذه الطبيعـة وعرفت منها ان لها نواميس عليها تقوم وتبقى الى الابد وكذلك حياتنا نحن البشر يجب ان تخضع لنواميس إن حدنا عنها فللضياع والتهافت ... »

أما الهاجس الاخير الذى استولى علي ــ كقارىء ــ لـ « عائشة » هو إطارها الكونى او ما اصطلح على تسميته النقاد الهيكليون بـ (cadre cosmique) وهو الذى يعرج (من المعراج) بالعمل الادبى الى منزلة العمل الصوفى،وذلك بينغاية البيان فى كل فصول « عائشة » حيث تنتهى الرواية على تلك النغمة الصوفية وضمن ذلك الاطار الكونى بقولك ص ١٧١ :

« كالرؤيا تماما حلما يعيشه الانسان وكأنه فترة من العمر طويلة وهو فى واقع اليقظة لحظة عابرة من نومة خاطفة ... »

وبعد أيها الأخ الأكبر ، أرجو أن أكون وفقت بعض التوفيق فى تلقي ما أردت تبليغه من رسالة هذا العمل المبدع ، وأنا مدين لك بالشكر والعرفـان لأنني خرجت من صمتي الادبى وحاولت أن أكتب لا أقول : «نقدا» بل بعض ما أوحاه عملك الرائع من خواطر فى زمن شح بالادب و « شاح » من النقـد ، لا تسمع فيه إلا أصواتا وأصداء باهتة .

وتقبل حضرة الأخ خالص المودة .

**احمـد القديـدي**



## إبـــــداع

**يدك المشدودة للشمعة تسرق فمي ...**
**وفمي المشدود الى الريح يقتات الشمعة ...**
**وينتشر الظـلام فى شـرايين السـارق حيـن تنتهـى الشمعة ...**
**وهذه الشجرة الخضراء نابتة العروق فى عروق الـوطن المحمول على كتف البطـل القـادم ليشجر المستقبل ...**
**ولئن لم يتبلور بعد !**

الامضاء : **الصادق شرف**

# الكرونوبسكلوجيا
# أو
# علم النفس الزمني

تأليف : الشاذلي الساكر
تقديم : محسن بن حميده

صدر العدد 24 من «**الأخلاء**» السلسلة التي يديرها صديقنا الشاعر **الصادق شرف** بكل حزم والتي تجمع شمل الشباب وتشجعه بنشر انتاجه .

وهذا العدد هو النشرية الثالثة في هذه السلسلة الخاصة تباعا بالدراسات بعد «**الشعر المنجمي**» لمحمد العائش القوتي و «**دراسات نقدية في الادب التونسي الحديث**» لحميده الصولي والدراسة الحالية هي **الكرونوبسكلوجيا أو علم النفس الزمني** .



وما كدت أبدأ تصفح الكتاب حتى تذكرت معا طريقة ابن خلدون وقــول الحكماء : «آفة العلماء الكبرياء» اذ حتى مع الافتراض أن الكاتب قد بلغ بعد منزلة العلماء فان الحكم الاخير للاثر يبقى دائما للقارىء والناقد ولا يجوز أن يقول الكاتب نفسه : «علم النفس الزمني هو علم جديد قمنا بوضعه» فيكون من المتكبرين والمدعين بينما الواقع الذى كنا نتوقعه ونرضاه ويقره التواضع العلمي : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) أن يقول كالشاعر الجاهلي : «هل غادر العلماء من متردم ؟» (في الاصل : الشعراء مكان العلماء) فلا يكون في قوله ادعاء له ولا ظلم لحق من سبقه من عمالقة الفكر العربي الاسلامي في عجيب آرائهم وموفق اصطلاحاتهم .

ولكن دعنا للتعريف الموضوعي نوسع المجال للكاتب نفسه يحوصل أعماله قائلا :

« وموجز هذه الاعمال هو أن الطاقة الحيوية (أو الجهاز النفسي) هي عبارة عن جسم يتركب من عنصر أدنى من عنصر الهيدروجين بالنسبة لجدول «منديليف» والطاقة الحيوية هي المركز الوحيد للاحساس والادراك والذاكرة والانفعالات من لذة وألم وهيجان وعواطف واهواء ومن أهم خصائصها قيامها وهي خارج الجسم بكل ما تقوم به وهي داخله وهذا العمل هو ما يسمى بالقوة النفسية المحركة أي التحكم في المادة بدون واسطة ...

والطاقة الحيوية التي تتميز بعدم الثبات وبالمد والجزر المتواصلين وبالتشكل غير المتناهي وبقابلية الاختزان والاختراق والجذب والدفع لها خاصية أخرى هامة هي افرازها للجسم أو جعله يتلاشى كليا أو جزئيا ...

والجهاز النفسي هو في حالة احساس متواصلة أيضا وملكاته موحدة وهي درجات ويقوم بعضها مقام البعض في تداخل مستمر حسب تنوع الحالات وهي ذات مصدر واحد وجوهر واحد وطبيعة واحدة ومركز هو الجهاز النفسي ككل وليس الدماغ مثلا كما يظن» .

والكتاب في رأينا محاولة طيبة جديرة بالاهتمام والتعريف لما فيها من عرض واضح مبسط لجل الحالات النفسية وأهم المدارس النفسانية لكن يجدر بالساكر أن يخطو بها الخطوة الحاسمة لرفعها فعلا الى منزلة العلم المتماسك الاجزاء الواضح النظرية الواسع الارجاء المحكم التصور وحتى الدقيق المعادلات فيكون بذلك حقا قد وضع علما وأسدى للفكر التونسي اشعاعا جديدا يسجله ويفخر به في حقل التفكير الانساني .

هذا ما نترقبه من الساكر ولا نظنه عاجزا عن تحقيقه .

**محسن بن حميده**

# أربع ملاحظات حول كتاب "الكرونوبسكلوجيا"

تقديم : د. رضا الخالدي

طلعت علينا في المدة الاخيرة مؤسسة «**الأخلاء**» بكتاب نعتقد انه قيم وبالتالي تخلت عن عقدة النقص ـ **العربية** ـ فيما يخص المنشورات العلمية العربية الرائدة • كما تخلت جريدة «**العمل**» بدورها عن نفس العقدة وعرفت بهذا الكتاب تعريفا مسؤولا وواعيا ـ وهذا ديدنها دوما ـ ودعت بشجاعة أهل التخصص الى مناقشة هذه الاعمال بتأكيدها أو بنفيها • وهذا الكتاب هو «الكرونوبسكلوجيا» أو علم النفس الزمني الذى وضعه أستاذ تونسى زميلي وهو الشاذلى الساكر ولن نزيد على العرض الذى قدمته العمل بل سنحاول ومن منظورنا الخاص الرد على الاسئلة التى طرحت بالاعتماد على كتاب الاخ المؤلف• فنقول :



**أولا** : تسمية الكرونوبسكلوجيا هى كلمة مركبة ومنحوتة عن الاغريقية وهى (Khronos زمن ) و ( Logos علم ) و ( Psuké نفس ) ما تعريبه حرفيا **علم النفس الزمنى** • وهى دراسة حالات النفس باعتبارها غير ثابتة • أى تدرس فى الزمان كما هو بالنسبة للكرونوبيلوجيا الذى هو دراسة حالات الجسم المتغيرة فى الزمان •

**ثانيا** : ان علوم النفس السوى ، المرضى ، البارا ••• ) تدرس فى ملكات النفس من ذاكرة وارادة ومخيلة وذكاء واحساس وشعور ••• كملكات ثابتة ذات نشاط مميز قابلة للصحة وللمرض ومرتبطة بالدماغ وهى تقول بوجود شعور ولا شعور كما تقسم بعض الحالات الى سوية ومرضية وخارقة للعادة ولا تعترف ببعض الحالات الاخرى اما «الكرونوبسكلوجيا» فهى ترتكز على الطاقة الحيوية أو الجهاز النفسى (لاعلى الدماغ) وتعتبر أن الجهاز النفسى ككل هو آلة حاسة ( لا قنوات الاحساس من عين واذن وأنف •••• ) التى

تقول عنها «الكرونوبسكلوجيا» انها لا تنشط الا فى بعض الحالات المفتوحة كاليقظة مثلا وبأن نشاطها محدود وضيق وكلها فى آخر الامر بما فيها الجسم ليست سوى درجات لنفس الحاسة ٠

**ثالثا :** إن المحور الاساسى لهذا العلم أو ما يميزه بحق هو الحالات النفسية التى اكتشفت القوانين التى تتحكم فيها وهو يدرسها فى الزمان وبدون تمييز كما يدرس الملكات (المخيلة ، الذاكرة ، الانفعال الى آخره) ضمن كل حالة أى بتوحيد لكل اهتمامات علوم النفس ومحاورها ٠

**رابعا :** نقد المؤلف كل النظريات النفسية وبالاخص الفرويدية كما نقد علوم النفس وقدم البديل وبكل وضوح وبكل منهجية وبالتالى فاننا لا نعتقد أن ما قدمه الساكر هو مجرد اضافات أو تطوير لعلوم النفس **بل هو ابتكار فعلا ٠** وبالتالى فاننا نوجه الدعوة الى كل المشتغلين بعلم النفس لدراسة هذه الاعمال ونقدها وتأكيدها وأن يتخلصوا من العقدة التى مفادها أن كل شروق لابد وأن يكون الغرب مصدره! وكما قال الدكتور المنجى الكعبى فى قراءته المدخلية للاعمال: **( وما على الاستاذ الساكر اذا كان الله أقدره على استكشاف علم ولم يقدره على اقتضاء شهادات ابتكاره من مؤسسات علمية مختصة فنفتها الحياة العصرية ونصبتها رسميا لتنويل الجوائز العظمى للمخترعين ... )**

سأتهم بأن ما قلته هو اطراء لا نقد لكن كل ما قلته اعتقده وأنا مسؤول عنه ومن منكم يجهل ما يفعله الغرب بعلمائه !؟ ولماذا نشذ نحن على هذه القاعدة ونحن الذين نقلد الغرب فى كل كبيرة وصغيرة !؟

ملاحظة أخيرة : **أنصح طلبتنا بكليات الطب أن يراجعوا الفصول التى حوصل فيها المؤلف أشهر مدارس علوم النفس وأهم نظرياته خصوصا علم النفس المرضى وهى مقررة فى البرامج الرسمية ٠**

**د٠ رضـا الخـالـدى**
أستاذ بكلية الطب ( المنستير )

# قراءات سريعة

## ★ دراسات فى تاريخ التشريع الاسلامى فى موريتانيا :

صدر من منشورات الجامعة التونسية (كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ السلسلة السادسة : الفلسفة والآداب) المجلد 19 وهو «**دراسات فى تاريخ التشريع الاسلامى فى موريتانيا**» للدكتور محمد المختار ولد اباه .

الكتاب باللغة الفرنسية فى المذهب المالكى عامة والمالكية فى موريتانيا خاصة وفى صف مسيرة المذهب المالكى من الشرق الى موريتانيا يقف المؤلف عند المرحلة الافريقية أى التونسية مشيرا الى فضل مدرسة القيروان على المغرب والاندلس مبينا كيف أن مذهب مالك فى بلاد تكرور (موريتانيا) كان يعتمد أساسا «موطأ» مالك و «مدونة» سحنون و«رسالة» ابن ابى زيد قبل أن يحل محلها كلها «مختصر» خليل .



ولقد اعتمد المؤلف فى كتابه ـ عدا المصادر العامة المتعلقة بالمذهب المالكى ـ مصادر عديدة لعلماء موريتانيين عرف المؤلف بهم وبنظرياتهم وحلل مؤلفاتهم (المطبوع منها والمخطوط) . وبفضل ذلك الجهد الكبير يخرج بصورة واضحة لاصول حركة المذهب المالكى فى موريتانيا وكيفية انتشاره وسماته الخاصة وصلته بالمذهب عامة فى غير موريتانيا من البلاد الاسلامية ، كل ذلك حسب تخطيط منطقى ومنهجية قويمة وطريقة لبسط المسائل بينة جلية فى أسلوب متين ولغة صحيحة فجاء الكتاب غزير المادة محكم المنهج متين المبنى مفيدا شيقا فكان من أجل ذلك جديرا بعناية كلية الآداب بتونس لنشره .

والكتاب مسبوق ببليوغرافية وتقديم متبوع بمعجم وفهرس للمؤلفين ومرفوق بمقدمة للاستاذ الدكتور الشاذلى بويحيى وبملحقات ثلاثة : الاول فى تراجم من «**فتح الشكور فى معرفة أعيان علماء التكرور**» لابن بنان البرتلى والثانى فهرس المؤلفين الموريتانيين والثالث أرجوزة محمد بن أحمد يور وتشتمل على 170 بيتا .

★ **أنقذونى من أهلى :**

صدر عن دار نعمان للثقافة سنة 1979 كتيب صغير بعنوان : «**أنقذونى من أهلى** (عن لسان اللغة العربية) يتناول فيه صاحبه مترى نعمان اصلاح الاخطاء اللغوية الشائعة فى الكتابة العربية اليوم دفاعا عن سلامة اللغة العربية فى اخلاص وتواضع حيث يقول : لست أدعى العصمة أو أنى غزوت الفضاء أو اكتشفت السهى وقد يكون بعض ما نبهت اليه من أخطاء قد توارد الى أذهان **بعض مزاولى صناعة الكتابة وعزائى الاوحد أنى حاولت وسأحاول فى المستقبل** خدمة لغتى الجميلة التى أفخر بها وأفاخر » ٠

★ **وتبقى الابتسامة :**

صدر كذلك عن دار نعمان للثقافة كتيب لطيف جدا كله تفاؤل وثقة بالانسان مهما كان وضعه وظروفه عنوانه «وتبقى الابتسامة» خصصه كاتبه بولس عماد لاحاديث ووقائع للمعاقين والمؤلف نفسه من المعاقين ٠٠ وان الكتاب ليوم مشرق فى دنياهم ٠

★ **كتاب الكون :**



صدر ايضا عن دار نعمان للثقافة سنة 1974 فى سلسلة المنشورات العربية «ماذا أعرف» كتاب «**الكون**» لبول كودير بترجمة خليل الجر والكون لغة هو كل ما هو موجود لكن المقصود فى هذا الكتاب هو الجزء الفلكى من الكون فبعد نظرة شاملة له ومعلومات عامة فى طرائق البحث يتناول كوكبتنا بمختلف نجومها مع علم الفلك الاشعاعى ثم الى المجموعات النجمية مع تطور النجوم وأعمارها ويتسع الى بقية الكوكبات مع التعرض الى مسألة المسافات وسلمها وقيسها وأخيرا انطلاقا من نظرية نشأة الكون Cosmogonie يعطى بسطة وجيزة لعلم الكون Cosmologie الذى هو هنا علم الفلك النجمى

★ **مجلة اركولوجيا :**

صدر العدد 172 نوفمبر 1982 من المجلة الفرنسية المختصة « **أركولوجيا** Archologia » به مقال ممجد للمعرض الاثرى فى «القصر الصغير» بباريس تحت عنوان «ألفا سنة من الفن والتاريخ بتونس» الذى نظمته

وزارة الشؤون الثقافية التونسية من 20 اكتوبر 1982 الى 27 فيفرى 1983 مع لمحة تاريخية من العهد البونيقى الى الاحتلال التركى كما تقدم المجلة تنويها بازدهار الآثار بتونس ولوحات للمجتمع الرومانى الافريقى للمؤرخ الكبيـر للعصور القديمة الاستاذ جلبار شارل بيكار .

## ★ المجلة التونسية لعلوم الاتصال :

صدر العدد الاول من مجلة جديدة يصدرها معهد الصحافة وعلوم الاخبار تحت عنوان «**المجلة التونسية لعلوم الاتصال**» وهى مجلة متخصصة تصدر كل ستة أشهر وتعنى بجميع قطاعات الاتصال وكل ما له صلة قريبة أو بعيـدة بهذا الميدان الكبير الهام وبكل ما يقوم به معهد الصحـافة وعلـوم الاخبـار (أساتذته وطلابه ومتربصوه ...) من أعمال وتحقيقات ودراسات وسفـرات وتربصات وغيرها .

واننا لنبتهج بهذه المجلة التى تسد ثغرة كبيرة وفراغا مشينـا وسيكـون لها الاثر العظيم فى عالم الاتصال التونسى والمستقبل الزاهـر والمحمـود ان شاء الله .



## ★ حرب أم سلم بالقدس :

صدر باللغة الفرنسية عن دار ألبان ميشال بباريس كتاب «**حرب أم سلم بالقدس**» للاب ميشال لولونق الذى يحاول اعطاء فكرة كروية لمختلف نواحـى مسألة القدس من تاريخية وثقافية وسياسية وفلسفية وروحية ونفسانية وغيرها وبالرغـم من هذا التشعب الاقصى فى الاب لولونق يبسط المسألة فى وضوح وموضوعية دون أن يخفى التضارب والتناقض فى المواقف والحيف والنوايا السيئة والمبيتة الظاهرة منها والخفية فى كثير من الظروف ويبين أن المسألة ليست دينية انما هى سياسية تعتمد سيطرة القوى المالية والحل يستـدعى تظافر الجميع : السياسيين ورجال الدين وكافة المؤمنين فى حوار صادق حر بناء للاشتراك فى تصور ابداعى حقا يمكن البشرية من تجاوز هذه العقبة الكاداء هذا مع اليقين أن كل قوة على الارض مهما عظمت فناؤها فى افراطها .

وقدم للكتاب السيد الحبيب الشطى الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسـلامى مبينا شرعية الموقف العربى فى مسألة القدس مطالبا بالانصاف والعـدل فى

توافق كله يقين وايمان وحب ولو يبدو ذلك حلما لكن أليس الحلم فى مثل هذه الحالات المأسوية بدءا فى العمل .

★ كتيب فى «المسرح الجزائرى» :

صدر فى السلسلة الادبية التى تصدرها مجلة «آمال» الجزائرية كتيب فى «**المسرح الجزائرى**» لمخلوف بوكروخ وهو عبارة عن ملامح سـريعة عن نشأة المسرح الجزائرى ثم لمحة عن المسرح الجزائرى أثناء الثورة وخاصة منه المسرح الجزائرى فى المنفى أو فى الغربة (المكانية واللغوية) ثم لمحة منه بعد الاستقلال

ويتعرض بعد ذلك الى اعلام المسرح الجزائرى أمثال رويشد (الطبقة الشعبية) وكاتب ياسين (المثقف الراقى) وولد عبد الرحمن كالحى (البين بين) ثم يتناول أخيرا مشاكل المسرح الجزائرى نواحى النص واللغة والجمهور والنقد .

وينتهى الكتيب بقائمة المسرحيات التى قدمها المسرح الوطنى الجزائرى فى فترة 1963 ــ 1972 ومراجع البحث .

● ليلة السنوات العشر لمحمد الصالح الجابرى



ــ صدر عن الدار العربية للكتاب رواية تحت عنوان «**ليلة السنوات العشر**» للصديق محمد صالح الجابرى (عافاه الله)

وهى رواية ممتعه متماسكة عميقة الغوص فى النفس الانسانية ودقيقـة الوصف للاحاسيس والعواطف والانفعالات لا تخلو من الخيال اللطيف الضرورى لجمالية الرواية مع عنف أحيانا فى الاحكام والنقد .

و«ليلة السنوات العشر» أتت لتثبت ما جاء فى رواية الجابـرى الاخـرى «البحر ينشر الواحه» من تغليبه أو قل تسليطه زمنا خاصا على هامش الزمـن العادى هو على نقيض منه يعيشه الانسان فى باطنه خارج الزمن المادى وقهرا له والملاحظ أن ممارسته تلك للزمن فى هذه القصة الثانية أكثر جرأة وأعمق ابحاء وأحكم مسكا .

فاللقاء بعد غياب طويل دام عشر سنوات بين مروان ولمياء يجدهما الاثنين لما تزال نفساهما تطفحان بساعات الوصل التى عاشاها معا منذ اكثر من عشر

سنوات فيدفعان ـ بالرغم من أوقل من أجل واقع كل منهما : هى تعانى من زواج فاشل وهو يعانى من وضع اجتماعى مناف للقيم التى يؤمن بها ، يدفعان مكرهين وفى آن واحد مطواعين الى انكار الواقع وتجاوز الزمن لتحقيق ليلة وصل داخل دنيا تجهل الدنيا ومدة زمن يرفض الزمن

ثم يعودان الى واقع الناس كل الى محنته ومشاكله وأحداث الزمن المادى التى لا تتوقف ولا تشفق ولا ترحم ٠

ونحن لا نشك انه بمثل هذه الروايات يمكن للرواية العـربية أن تشـق طريقها نحو المستوى العالمى ٠

● **مطبوعات الالكسو :**

صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٠

1 ـ «دليل مطبوعات المنظمة 1979 ـ 1981» ٠

2 ـ «دليل المكتبات فى الوطن العربى» بما فيها المكتبات الوطنية والمكتبات العامة والمكتبات المتخصصة فى كافة الاقطار العربية متبوع بكشاف لكل تلك المكتبات وبكشاف أبجدى للمدن مع بيان الاقطار التى تنتمى اليها تلك المدن ٠

3 ـ «نشرة المعلومات» (ادارة التوثيق والمعلومات) العدد 26 وهو عدد خاص

4 ـ «الاعلام العربى» الاول للسنة الثانية ٠ ومن المعلوم أن «الاعلام العربى» دورية نصف سنوية الاعلامية العربية ٠

6 ـ قراءات فى التربية الخاصة وتأهيل المعوقين عن ادارة التربية للمنظمة والكتاب يسعى ان يكون مرجعا يعرض التشريعات العربية الخاصة بالمعاقين والاعلانات والمواثيق العربية والدولية وبالدراسات المتوفرة لديها فى مختلف أنشطتها المكثفة خلال العام الدولى للمعاقين ٠

7 ـ «التعليم الثانوى فى البلاد العربية» ٠

● **قصص للاطفال من سلسلة نجمة**

ـ صدر سلسلة جديدة لدار صلامبو للنشر تحت عنوان «سلسلة نجمـة» والجدير بالملاحظة وبالتنويه فى آن واحد أن هذه السلسلة من قصص الاطفال تصدر باللغتين الفرنسية من تحرير جميل جذاب للسيدة صوفية القلى وباللغة

العربية من ترجمة أو بالاصح من اقتباس ذكى ظريف للقصاصة نافلة ذهب وافتتحت السلسلة بثلاث قصص هى :

- الملك والفجر .
- الشمس والامطار .
- لاعب الشطرنج .

## ● دراسات تاريخية

صدر فى مجلد واحد العددان التاسع والعاشر من «دراسات تاريخية» وهى المجلة العلمية الفصلية التى تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق والمجلد زاخر بالدراسات للجوانب التاريخية العامة أو الخاصة بالعمران والاجتماع والاقتصاد (لعبد الكريم رافق) أو بالجمعيات (لسهيلة الديماوى) أو بالعلاقات بين التاريخ العربى والنظم السياسية الخارجية كروسية القيصرية (لخيرية قاسمية) أو موقف حركة الاستشراق من قضايا التاريخ العربى (لنبيلة عاقل) .



## ● الايديلوجية الصهيونية :

صدر فى سلسلة «عالم المعرفة» (ديسمبر 1982) للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت كتاب «الايديلوجية الصهيونية» للدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى وهو دراسة فى علم اجتماع المعرفة وهو العلم الذى يتناول علاقة الافكار بالمجتمع وكيف تتشكل هذه الافكار وكيف يتبنى بعض الافراد من الافكار المحددة المشتركة ليكونوا جماعة انسانية لها فهم خاص ورؤية خاصة تحدد سلوكهم السياسى وكيف تتحقق هذه الافكار وتتشكل وتتعدل خلال الممارسة وكيف تواجه التحديات الداخلية والخارجية ونتائجها .

وهذه الدراسة ليست دراسة أكاديمية بالمعنى الشائع لهذا المصطلح انما هى دراسة لا تطمح الى فهم الايديلوجية الصهيونية وتفسيرها فقط بل أيضا الى تحويل الفهم والتفسير الى نضال من أجل الحقيقة والعدل أى تحويل المعرفة المجردة الى فعل فاضل .

أصداء الفكر

## ● الأغنيـة التـونسية بين الأصـالة والمعـاصرة :

أشرف وزير الشؤون الثقافية السيد البشير بن سلامه مساء يوم 17/1/1983 بنادى الاصطياف بالزهراء على اختتام الندوة القومية التى نظمتها شعبة الاذاعة والتلفزة حول الأغنية التونسية بين الأصالة والمعاصرة .

وبين الاستاذ البشير بن سلامه بالمنـاسبة أن موضـوع تطويـر الأغنيـة التونسية يرجع أساسا الى كيفية النهوض بالموسيقى التونسية مع المحافظة على أصالتها باعتبارها جزءا من التراث الموسيقى العربى مشيرا الى ما بذلته وزارة الشؤون الثقافية من جهود بالتعاون مع وزارة التربية القومية قصد إدخـال التعليم الموسيقى فـى المدارس الابتدائيـة والثانويـة وكذلك بمعاهد ترشيح المعلمين بالاضافة الى احداث المعهد الأعلى للموسيقى الذى يكون الاطار الكفء لتلقين هذه المادة الفنية .



وأكد فى هذا المجال على ضرورة تجديد التراث الشعبى الذى تزخـر بـه تونس وتشجيعه مع العناية بالتقنيات المعاصرة للموسيقى مبديـا استعـداد وزارة الثقافة لتشجيع كل الطاقات الخلاقة ذات المستوى الطيب .

وفى حديثه عن وضع الأغنية التونسية أشاد الوزير الى انه تم الاتفاق مع الاذاعة والتلفزة التونسية من أجل ايجاد سياسة موسيقية يحتم ضبطها فى نطاق المفهوم الجديد للتربية الموسيقية التى سيقع اقحامها فى برامـج التعليم مبرزا فى هذا الشأن الدور الفعـال المنوط بعهدة اتحاد الموسيقيين فـى حـل المشاكل العلمية المتصلة بهذا الميدان .

وأكد السيد البشير بن سلامه فى الختام على الاهتمام البالغ الذى يوليـه المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه للشؤون الثقافية والميدان المـوسيقى على وجه الخصوص .

وتجدر الاشارة الى ان أشغال نـدوة « الأغنيـة التـونسية من الأصـالة والمعاصرة » قد انتهت الى عدة توصيات من بينها احداث لجنة قومية تتنـاول بالبحث مشاكل الشعر الغنائى من حيث اللغة والشكـل والمضمـون ودعـم مشاركة الفنانين القدامى فى النشاط الموسيقى والحفلات الخارجية بالاضافة الى مراجعة سياسة التبادل الثقافى فى ميادين الاذاعـة والتلفـزة والعروض العمومية والمهرجانات الصيفية ودعم الفرق الموسيقية الجهوية .

**● لفلسطيـن .. أسبـوع ثقـافى :**

بداية من يوم الثلاثاء 83/1/18 نظم دار الثقافة ابن رشيق اياما ثقـافية فلسطينية تواصلت الى غاية 21 من الشهر الحالى . وذلك بمناسبة احياء ذكرى تأسيس منظمة فتح التى كانت اعلانا لانطلاق الثورة المجيدة فى سبيل تحرير الارض الفلسطينية السليبة .

وتتضمن هذه الايام عـدة فقـرات بين المحـاضرات والافـلام والعـروض الموسيقية وقد تم الاهتمام ـ فى اعداد البرمجة ـ بالاحداث التى شدتها الثورة الفلسطينية فى الاشهر الاخيرة لاعطاء فكرة عن الدور الكبير الذى لعبته هذه الثورة فى الذود عن كرامة العرب وانقاذ ما تبقى من الشرف العربى .

كما ان البرمجة راعت الربط بين الثورة الفلسطينية والمعارك التى فـرضتها اسرائيل الغادرة على الشعبين اللبنانى والفلسطينى خاصة فى بيروت .



**● المجلـس الأعـلى للثقـافة :**

اجتمع المجلس الأعلى للثقافة لاول مـرة يوم الجمعة 28 جانفـى 1983 بمقـر الوزارة الاولى ، وهو المجلس الذى دعت وزارة الشؤون الثقافية الى تكـوينه وشرعت فى تأسيسه التأسيس الفعلى طوال الفترة الاخيرة .

وسيعنى هذا المجلس حسب ما جـاء فى الامـر الرئـاسى المـؤرخ فى 20 ديسمبر 1982 بهذه الغايات الثقافية :

- النهوض بالعمل الثقافى وبثه بين كافة أفراد الشعب .
- توفير المساعدة للانشطة الثقافية الخلاقة .
- تطوير الهياكل الاسـاسية الثقـافية وتحسيـن مستـوى الاطـارات والاستجابة لمتطلبات المواطن .
- مساندة العمل الثقافى وادخاله فى الدورة الاقتصادية للبلاد .

هذا وتجدر الاشارة الى ان هذا المجلس يترأسه وزير الشـؤون الثقـافية ويضم مجموعة من الاعضاء يمثلون مختلف المنظمات والاجهزة الاعلامية رجـال الثقــافـــة .

**● نشــرية أصــداء التــربية :**

وصلنا العدد الجديد من نشرية « أصداء التربية » النشرية الدورية التى يصدرها مكتب الاعلام والعلاقات العامة بوزارة التربية القومية .

واشتمل هذا العدد على مواضيع وتغطيات واخبار تتعلق بشؤون التـربية والتعليم فى بلادنا .

**● المنظر الطبيعي والمعماري فى الرسم :**

تواصل فى مركز الفن الحي لمدينة تونس حتى موفى شهر جانفى 1983 . معرض يجمع ثمانين فنانا ممن أقاموا بتونس ، ويجسد محاولاتم للتحاور مع المحيط من خلال رؤى ومناهج متعددة تفضي الى حلول تشكلية ذاتية .

**● السنما التونسية من خلال الملصقات :**

فى مركز الفن الحي لمدينة تونس أقيم معرض للسنما التونسية من خـلال الملصقات وقد حاول هذا المعرض رغم عدم شموليتـه أن يستعـرض تاريـخ السنما بتونس ويثير التأملات حول مستقبل السنما التونسية .

**● علاقة الشعر بالموسيقى فى الثقافة العربية الحديثة :**

تحت هذا العنوان انتظمت بمركز الفن الحي لمدينة تونس مـائدة مستديرة بمشاركة شعراء تونسيين خلال شهر جانفى 1983 لدراسة العلاقة بين الشعر والموسيقى .

**● متحـف ســوســة :**

محمد بن زينب ألف مؤخرا كتابا هاما حول « متحـف ســوسة » وقد جاء محلى بصور وتحاليل اعطت للدراسة بعدها الحضارى وقد قدم محمد بن زينب لكتابه بكلمة قال فيها : « ان البلاد التونسية وهى ملتقى الحضارات قد دعت المسؤولين منذ الاستقـلال الى الاهتمام بالمتاحف ... » مؤكدا ان عدد المتاحف بتونس يصل حوالى 20 متحفا ومن بين هذه المتاحف الهامة متحـف ســوسة الكبيــر .

ان هذه المؤلفات هى مؤشر حضارى لا بد ان يتواصل فى العطاء فتونس بلد الحضارات واللقاءات ...

● **لغـة الاغصـان المختلفـة :**

**جاء في جريدة « الأمة » يوم 1983/1/9 بقلم الروائى مصطفـى المـداينى عـن « لغة الأغصان المختلفة » ما يلي :**

مجموعة شعرية صدرت مؤخرا عن « الأخـلاء » شـارك في اصدارها كل من الشعراء : يوسف روقه ، كمال قداوين ، الصادق شرف ، الحبيب الهمامى وعبد الله مالك القاسمى .

ورغم اختلاف الصيغ الشعرية الخاصة بكل غصن متفرد فان المجموعة قد جاءت تحمل صوت الحياة الصاخبة وهـى ـ بعد ـ تعد شـدوا للحب والحياة ،

● **مركـز تـونس المرمـوق :**

نشرت جريدة « عكاظ » السعودية في عددها ليوم 4 يناير 1983 لقاء مـع الاستاذ عبد الكريم محمد حمدي مدير المكتب الاعلامي السعودي بتونس تناول عدة مسائل تتعلق بالاعلام العربي وهذا المكتب هو الاول من نوعه الذى يفتتح خارج السعودية . وعن سبب ذلك يقول الاستاذ عبد الكريم محمد حمدي : « عدة عوامل أدت الى هذا الاختيار أهمها ثقل تونس في الميـزان السيـاسى ومركزها العربى المرموق جغرافيا وسياسيا واتجاههـا السيـاسى الحيـادى والمعتدل وسمعتها الطيبة عربيا ودوليا . »



● **بن سلامه في حديث « للعلم » المغربية :**

خصصت أمس صحيفـة « العلـم » المغـربية صفحـة كاملـة للحـديث الصحفى الذى كان اجراه مبعوثها الى تونس مع السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية .

وقد تركز الحديث على العلاقـات الثقـافية المغـربية التـونسية والمخطط السادس في مجال الثقافة وعلى دور الثقافة العربية في الواقع الراهن .

ففى خصوص العلاقات الثقافية بين تونس والمغرب أكد السيد البشير بن سلامه على ضرورة تجـاوز الرسميـات في التعامـل الثقـافي حتى يصبـح استمرارية يومية وذلك باتصال الجمعيات والاتحادات والفرق والشعـراء في البلدين ببعضهم البعض اذ ان وحدة المغرب العربى لا يمكن ان تتحقق بدون ثقافة وبدون اشعاع فكرى .

وبشأن السياسة الثقافية بتونس أشار وزير الشؤون الثقافية الى ان عزم الحكومة مركز على ادخال الثقافة في الدورة الاقتصادية الحقيقية فتصبح حلقة

من الحلقات الانمائية وذلك بايجاد الهياكل الثقافية الاساسية فى كل المؤسسات وبمختلف المناطق السكنية الجديدة .

وحول الواقع الثقافى الحالى فى العالم العربى قال السيد البشير بن سلامه : « ان للفكر العربى مسؤولية كبيرة فيما يقع فى الساحة العربية الآن فهزائمنا السياسية وغيرها اصلها وأساسها هو هزيمتنا الفكرية » مبينا ان المسؤولية ترجع الى المثقفين العرب فى فتح حوار حقيقى بينهم للمضى فى وحدة متكاملة نحو المستقبل .

**● إصدار طابع أمريكى لتخليد ذكرى جبران :**

أعلن فى واشنطن مؤخرا ان سلطة البريد الامريكية وافقت على اصدار طابع تذكارى لتخليد ذكرى الاديب المهجرى اللبنانى جبران خليل جبران وكانت سلطة البريد قد استبعدت فى وقت سابق جبران من بين مواضيع طوابعها .

غير ان ناطقا باسم اللجنة العربية الامريكية لمناهضة التمييز العنصرى قال : ان حملة رسائل قامت بها اللجنة افلحت فى اقناع سلطة البريد بادراج جبران ضمن الشخصيات فى مجموعة طوابعها التذكارية .



**● توزيع جوائز الدولة التشجيعية :**

خلال حفل بهيج انتظم مساء الخميس 83/I/I9 بمقر وزارة الشؤون الثقافية تولى الاستاذ البشير بن سلامة توزيع الجوائز التشجيعية لحركة الانتاج العلمى والادبى لسنتى I98I/I980 ... وجوائز الدورة الاخيرة لاسبوع المسرح التونسى ... وقد ألقى السيد الوزير بهذه المناسبة كلمة بيانية تعرض فيها الى محاور هامة وعديدة تخص النشر والمسرح فى تونس .

**المؤلفات التونسية الفائزة بجوائز تشجيع الدولة لسنة 1980 :**

- زمن الفئران الميكانيكية : أحمد ممو .
- من باب سويقة الى منهاتن : رشيد إدريس .
- فهرس ابن عطية : محمد الزاهى ومحمد بولجفان .
- تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب : فرحات الدشراوى .
- المهدية وشاعرها تميم : محمد المرزوقى .
- صمود أغنيات عربية : نور الدين صمود .

ـ مدن معبد : محيي الدين خريف .
ـ مع البدو فى حلهم وترحالهم : محمد المرزوقى .
ـ رسالة القاضى : مصطفى أحمد بالخيرية .

**المؤلفات التونسية الفائزة بجوائز تشجيع الدولة لسنة 1981 :**

ـ قراءات مع الشابى والمتنبى والجاحظ وابن خلدون : عبد السلام المسدى.
ـ الادماج الصناعى للمغرب العربى : شجاع مصطفى الحزامى .
ـ ذكريات عن مكتب المغرب العربى فى القاهرة : رشيد إدريس .
ـ الرحالة الحجازية : على الشنوفـــى .
ـ انتصار الفقير السالك : محمد أبو الاجفان .
ـ الفرجة من الثقب : محمد المختار جنات .
ـ الافكار : جعفر ماجد .
ـ همسات الى الزمن الهارب : البشير المشرقى .
ـ الصقر الظالم : نور الدين عزيزة .
ـ محاورات الاطفال : محيي الدين خريف .



**جوائز أسبوع المسرح :**

1) قررت لجنــة التحكيم بالاجماع الاحتفاظ بالجائزة الاولى للنص والاخراج لعدم توفر المستوى المطلوب .

2) اسنــاد الجائزة الثانية للعمل المتكامــل نصا واخراجا وتمثيلا لمسرحية «قمرية» تأليف واخراج كمال العلاوى تقديم الفرقة المسرحية القارة بسوسة .

3) اسناد منحتين تشجيعيتين :

أ ـ مسرحية : « الدخان » تأليف واخراج عبد الحكيم العليمى ، تقديم فرقة مسرح السليلوز بالقصرين .

ب ـ مسرحية : « من يحب بثينة » تأليف محمد العيادى العونى ، اخراج محمد الحسين المحنوش ، تقديم فرقة قرطاج بيرصا للمسرح .

4) الجوائز الفردية لـ 18 ممثلا وممثلة .